

خليل مطران

صورة من الحياة.. لخليل مطران

بقلم الدكتور محمد سعد حسن فشوان

مدرس الادب والنقد بجامعة الازهر

* * *

دراسة في نص .. لشاعر القطرين خليل مطران (١٨٧٢ — ١٩٤٩) المطلع على ديوان الخليل ، الذي نشرته دار الكتاب العربي ببيروت ، في طبعته الثالثة (١٩٦٧) يقع على قصيدة بعنوان : « المرآة الناظرة » التي قدم لها الشاعر بقوله : « في حديقة الجيزة ، اصيل يوم هبت فيه ريح السموم فرايت فتاة تنظر بعيني امها ، وتصلح شعرها »(١) فكانت تلك الابيات ، التي نقل الينا الشاعر من خلالها صورة ناطقة من صور الحياة العصرية :

عاجت أصيلا بالرياض تطوفها ... كمليكة طافت معاهد حكمها
حسناء أمرها الجمال فانشات ... في أيكها الاطيار تخطب باسمها
والحسن أكمل ما يكون شبيبة ... في بدنها ، وملاحة في تمها
سترت باخضر سندسي جيدها ... فحكى المحيا وردة في كمها(٢)
وتمايلت في ثوب خز مورق ... غصنا، وهل للغصن نضرة جسمها ؟
فاذا دنت في سيرها من زهرة ... همت باخذ ذيولها وبلثمها
أو جاوزت فرعا رطيبا لينا ... ألوى بمعطفه ومال لضمها
وتحف أبصار بها فيخزنها ... بحيائها ، ويشكنها في وهمها(٣)
كالنحل طفن بزهرة فلسعنها ... ورشفن منها ما رشفن برغمها
حتى اذا حلى العياء جبينها ... بندى ، وأخمد جمرة من عزمها
جلست تقابل أمها ، وكأنما ... كلتاهما جلست قبالة رسمها
لكن عاصفة أغارت فجاة ... بالهوج من لدد الرياح وقتمها(٤)
فاهتزت الغبراء حتى صافحت ... عذبات سرحتها منابت نجمها(٥)
وتناثرت ضفر الفتاة غمائما ... سترت عن الابصار طلعة نجمها
فتحيرت فيما تحاول وهي قد ... أعيت بلا مرآتها عن نظمها
فدنت تحاذي أمها وتناظرت ... بعيونها ، وجلت سحابة همها
وكذا الفتاة اذا ابتغت مرآتها ... فتعذرت . نظرت بعيني أمها

— ١ —

كان خليل مطران — كما اثبت الدكتور اسماعيل ادهم في دراسة له عنه — يهوى من البحور : الكامل ، فالطويل ، فالخفيف ، فالمتقارب ، فالمجتث ، وذلك يدل دلالة اكيدة على قيام ذلك الناقد بعملية استقراء واسعة لشعر مطران ، وذلك جهد يذكر له فيشكر بلا شك .

والكامل : يتسع لأغلب الموضوعات الشعرية وعلى الاخص القصص .

والطويل : يتسع لكثير من المعاني ، وبخاصة الرثاء ، والوصف ، والتاريخ .

والخفيف : بحر قريب الى النفس ، طيع في المعالجة والمعاناة ، حتى يقرب اسلوبه من الاسلوب النثري .

والمتقارب : بحرفيه رقة ونغمة مطربة ، على شدة مانوسة ، وهو اصلح للعنف ، والسير السريع(٦) .

واذا كان بحر الكامل يتسع لأغلب الموضوعات الشعرية ، وعلى الاخص القصص ، واذ يؤكد الدكتور اسماعيل ادهم ان مطران كثيرا ما استخدم هذا البحر ، فذلك يعد في راينا مؤشرا خطيرا ، ذا دلالات كثيرة على اثر مطران الكبير في شعرنا العربي المعاصر ، وبخاصة في الشعر القصصي ، الذي كان لـه — بلا شك — دور كبير فيه .

ونحن لا نرتاب في ان القرن العشرين قد شهد تحولا خطيرا في تاريخ الادب العربي ، حيث نهضت فيه الفنون الادبية نهوضا كبيرا ، وكان نصيب الشعر القصصي لا يقل نضارة وازدهارا عن باقي فنون الادب الاخرى ، حيث تطلع الشعراء الى هذا الفن ، وشجعه النقاد ، واشاروا الى خطورته في رسم الحياة ، بكل ابعادها ، بما يضفيه عليها

---

(١) — ديوان الخليل . الجزء الاول ص ٢١ ط بيروت .

(٢) — الكم (بكسر الكاف) : وعاء الثمر ، والكم ايضا : كل ما يكم اي يغطي والجمع اكمام .

(٣) — يخزنها : من الوخز ، وهو الالم الذي تحدثه رؤوس الابر . ويشكنها : من ألم الشوك .

(٤) — لدد الرياح : اشدها عداوة وضراوة . وقتمها (بفتح القاف وتسكين التاء) : سودها .

(٥) — الغبراء : الارض . عذبات سرحتها : اطرافها الظاهرة . والنجم من النبات : ما نجم اي نبت من غير ساق .

(٦) — انظر : مقدمة البستاني لترجمة الالياذة ، واصول النقد الادبي للاستاذ احمد الشايب ص ٣٢٠ .

من ظلال واضواء ، وما يوفره لها من نضارة وبهاء في مجال الحديث عن خوالج النفس ، ودقائق الشعور والحس ، ومشكلات المجتمع ومعالجة قضاياه التي هي في مسيس الحاجة الى بذل الجهد ، ومضاعفة العمل من اجل نهوض الوطن ، وسموه ورفعته وازدهاره .

ولقد كان مطران من السباقين الى كتابة القصة الشعرية في ادبنا العربي الحديث ، وان كان استاذه الشيخ خليل اليازجي قد سبقه بروايته التمثيلية الشعرية : « مروءة ووفاء » ، غير ان غزارة انتاجه في تلك الناحية جعلته جديرا بتلك المنزلة ، ومن اهم قصائده القصصية : « نابليون الاول وجندي يموت » و « يوسف افندي » و « ان من البيان لسحرا » التي ترجمها بنفسه الى الفرنسية ، و « السور الكبير في الصين » و « النرجسة » و « شهيدة المروءة وشهيدة الغرام » و « العصفورة » و « الوردة والزنبقة » وغير ذلك مما يعج به ديوانه الضخم .

والقصيدة التي معنا من بحر الكامل التام ، الصحيح العروض والضرب ، وتفاعيله « متفاعلن » تتكرر ثلاث مرات في كل شطر ، وهي في مجموعها صورة حية مترابطة الاجزاء ، وقد تمكن الشاعر من نقل تلك الصورة المتحركة في هذا الاطار الموسيقي ، وهي لقطة ذكية بارعة تشير الى انه في ابسط مشاهد الطبيعة ومرائيها ما يفجر ينابيع الحكمة والشاعرية في نفس الشاعر المفتن .

لقد ادار الشاعر آلته المصورة ، وسلطها على تلك الصورة الموارة بالحركة ، العاجة بالحياة ، بكل ما لها من حدود ، وما تنطوي عليه من ابعاد ، وبكل ما يحيط بها من ظروف وملابسات ، وقد اسعفه « بحر الكامل » بمرونته المعهودة ، على نقل تلك الصورة متأنقة واضحة .

وموسيقاه الداخلية — هنا — بل في الكثير من شعره تقريبا اقرب الى « الهمس » منها الى « الرنين » و « الجهارة » فهو شعر يقرأ ولا يلقى ، واثارة شعره انما تكمن في صدقه وحياته ، لانه شعر تنفسه صاحبه ، وعاش فيه ، وفي جوه ثم نقله الينا في دقة واستيعاب .

— ٢ —

والشاعر — هنا — يسير على نهج ابن الرومي في التصوير ، وما يستلزمه من طول النفس والاسهاب ، والعناية بالتفاصيل ، والدقة في الوصف ، وغير ذلك ، فأبيات القصيدة تمثل صورة مكتملة الجوانب ، ولكنها صورة عاجة بالحياة ، موارة بالحركة ، وهي بهذا تختلف عن الصورة الصامتة ، التي يبدعها هواة الفن التشكيلي ويتأنقون فيها ، فخاصة الشعر تتجاوز التصوير الصامت الى التصوير المصحوب بالحركة والصوت ، بل واللون واللمس ، والشم والذوق وغير ذلك .

والشاعر — لهذا — يجهد نفسه في انتقاء اللفظ ، الذي يجسم هذه المؤثرات التي تدخل في تكوين الصورة ، او — ان شئنا الدقة — في اختيار الاساليب التي تجعل لصورته تلك الخاصة ، التي تميزها عن الرسم او « الشعر الصامت » .

وهنا في تلك القصيدة امور تدرك بحاسة البصر ، وفيها الى جوار ذلك عدة عناصر اخرى كاللون والصوت والحركة ، وذلك كله من الظهور والوضوح بما لا يحتاج الى بيان .

اما عن « التشخيص » الذي شغف به مطران ، وتعشقه فذلك ناجم عن رهافة حسه ، وسعة خياله ، وقد كان « التشخيص » وكذا « التجسيم » و « التجريد » من السمات البارزة في شعر المدرسة التي تأثرت بمطران ، ومذهبه في الشعر ، وهي مدرسة ابي شادي ، او مدرسة « ابولو » الشعرية ، ومن التشخيص في القصيدة ما نلمحه في البيت السادس — على سبيل المثال :

فاذا دنت في سيرها من زهرة همت باخذ ذيولها ولثمها

وكذا ما نراه في البيت السابع :

أو جاورت فرعا رطيبا لينا الوى بمعطفه ، ومال لضمها

— ٣ —

بدأ الشاعر قصيدته بعد ان مهد لها بمقدمة نثرية ، فحدثنا عن تلك الفتاة الجميلة التي عاجت بالرياض في اصيل احد الايام ، تطوف بها ، كما تطوف احدى المليكات بأرجاء مملكتها ، وبين ان الطيور في الأيك لم تتمالك نفسها حين رات هذا الحسن ، الذي جعل من صاحبته اميرة مرفوعة الرأس في اباء وشموخ ، فأنشأت في الرياض تخطب باسمها ، وتتغنى بحسنها وجمالها ، ذلك الحسن الذي بلغ فيها نهايته ، ممثلا في شبابها النضر ، وملاحتها الباهية .

وقد زاد في جمالها ذلك الثوب السندسي الاخضر ، الذي سترت به جيدها ، فلاح وجهها منه وردة جميلة تفتح عنها كمها ، وانها لتتمايل مختالة في ثوبها الحريري المورق ، تماما مثلما يتمايل الغصن الرطيب ، غير ان الغصن لا تكون له تلك النضرة التي تعلو جسدها ، وتكسو محياها .

لقد جن الزهر بها ، وهام الورد بحسنها ، فما تقترب في سيرها من زهرة ، او تدنو من وردة حتى تهم باخذ ذيولها ، وتشرع في تقبيلها على استحياء ، وما تجاور

فرعا رطيبا لينــا الا مال عليها مــن عليائه ، محاولا ضمها اليه .

اما انظار الملأ من حولها فتحف بها على نحو جعلها تحس بوخز تلك النظرات في حيائها ، وبشوكها في خاطرها وخيالها ، فهي كالزهرة تطوف النحل بها فتلسعها ، وتمتص رحيقها ، تفعل ذلك قسرا ، وعلى الرغم منها .

وحين حلى التعب وجهها بندى عرقها ، واخمد جمرة من عزمها جلست في قبالة امها ، وكأن كل واحدة منهما تجلس امام رسمها ، غير ان عاصفة مفاجئة اغارت برياحها الهوج القائمة على المكان الذي كانتا تقبعان فيه ، وقد اثارت تلك الرياح الارض ، وأمالت صغار النبات حتى لثمت ظاهر الغبراء ، وصافحتها ، وتناثرت جدائل الفتاة ، واصبحت تكسو وجهها كالغمام يستر وجه البدر في ليلة التمام ، او يغشى النجم حتى لا يكاد يبين ، هنا تحيرت الفتاة في امرها ، ولم تمكنها تلك الرياح الهوج من نظم شعرها دون مرآة ، ولم تجد بدا من ان تجلس محاذية لأمها ، ناظرة في عينيها ، علها تتمكن من اصلاح ما افسدته الريح ، وتجلية ما علاها من سحب الهموم .

— ٤ —

والافكار تظهر مسلسلة ، وتلك سمة غالبة على شعره ، فهو يقسم قصيدته الى عناصر كل عنصر يسلم الى تاليه ، وهو لا يترك العنصر او الفكرة حتى يوفيها حقها من الابانة والوضوح .

ولهذه الدقة في التعبير ، والاحتفال بالفكرة ، امكن نقل الكثير من قصائده الى اللغات الاجنبية ، من غير ان تفقد كثيرا من روحها وامتاعها ، وقد قام هو بترجمة قصيدته « ان من البيان لسحرا » — كما سبقت الاشارة الى ذلك — الى الفرنسية واعجب بها السامعون اعجابا شديدا .

وفكرته متنوعة ، متجددة ، والقصيدة هنا يمكن ان نعتبرها من غزله الرقيق ، لان حديثه عن تلك الفتاة وحسنها الفائق ، وان اخذ جانب « القص » الا انه يوضح مذهبه في الغزل ، وطريقته فيه ، فغزله ليس من النوع المكرور ، ولكنه ممتع رفيع ، انه يحرك الطيور في الروض ، ويدفعها الى التغني بهذا الجمال :

حسناء امرهــا الجمال فانثنت   في أيكها الاطيار تخطب باسمها

والزهر — عنده — لا يتمالك نفسه من ان يلثم ذيلها ، حين تخطر دانية منه في سيرها :

فاذا دنت في سيرها مــن زهرة   همــت باخــذ ذيولها وبلثمهــا

وما ابدع قوله بعد ذلك :

أو جاورت فرعــا رطيبا لينــا   ألوى بمعطفه ، ومــال لضمها

انــه يتعشق الجمال المعنوي ، ويهيــم بالمــرأة حسنــا ووجــدا ، وحرقــة وعذابــا ، ولــم تتحــول المرأة في شعره الـى ذراع ملفوفة ، وساق عبلــة ، وخصر اهيف ، وغير ذلك من الغزل الحسي ، الذي هام به الكثيرون من شعراء العربية في تاريخها الطويل .

وانه ليتعشق جمال الطبيعة كذلك ، ويرتمي بين احضانها ، على عادة كبار الشعراء الابتداعيين في الغرب ، وانه ليأخذ اخيلته وصوره منها ، وقد اثبت بذلك ، كما اثبت غيره من الشعراء الذين آمنوا بفكرة التجديد في الشعر ان لغتنا العربية ليست لغة سقوط على الحياة ، بل صدور عنها ، وانها لغة لا تفتقد العفوية والتلقائية كمــا اتهمها بذلك خصومها من المستشرقين من امثال « جاك بيرك » الفرنسي ومن لف لفه من نقاد الغرب ، الذين رأوا انها لغة سقوط على الحياة لا صدور عنها ، وانها لغة ذهنية تفتقد العفوية والتلقائية .. وحسبنا ان يقول مطران في مقدمة الجزء الثاني من ديوانه :

« هذا شعري فيه شعوري .. هو شعر الحياة والحقيقة والخيال ، نظمته في مختلف الازمنة التي تخليت فيها عن العمل لرزقي ، نظمته مصبحا وممسيا متفردا ، ومتحدثا مع عشرائي .. وقيدت فيه زفراتي واحلامي ، وسجلت بقوافيه احداث زماني وبيئتي في دقة واستقصاء .

اما الامنية الكبرى التي كانت تجيش بي فهي ان ادخل كل جديد في شعرنا العربي بحيث لا ينكره ، وان استطيع اقناع الجامدين بأن لغتنا أم اللغات ، اذا حفظت وخدمت حق خدمتها ، ففيها ضروب الكفاية لتجاري كل لغة قديمة ، وحديثة في التعبير عن الدقائق والجلائل من اغراض الفنون » .

للحديث بقية ..

القاهرة   **محمد حسن فشوان**

حول ديوان بدوي الجبل ومقدمة اكرم زعيتر

بقلم عجاج نويهض

* * *

« بدوي الجبل » المعروف بلقبه الشعري هذا منذ ما يقارب الستة عقود ، او منذ ايام الحكومة العربية الفيصلية في دمشق (من خريف ١٩١٨ الى اواخر تموز ١٩٢٠) هو الشاعر الفرد العلم محمد سليمان الاحمد من الجبل العلوي . ووالده كان « من اعلام الديار الشامية فقها ولغة وادبا » الشيخ سليمان الاحمد وزعيم قومه وولد « بدوي الجبل » في قرية (ديفة) من محافظة اللاذقية .

ونعلم ان على الغالب لكل شاعر من الشعراء الاعلام في العرب ، في هذا العصر والعصور السابقة ، لقبا نشأ يجاري اسمه الحقيقي او قد يغلب اللقب الاسم . و « بدوي الجبل » من شعراء العربية في هذا العصر الذين غلب اللقب فيهم على الاسم الحقيقي : محمد سليمان الاحمد . وكيف كان ذلك ؟

اني سعيد ان اقول ان اول معرفة لي بمحمد سليمان الاحمد ، فتى الشعر ، المتوثب وطنية وروحا قومية كان في دمشق زمن الحكومة العربية ، وهو يومئذ يعتمر « الحطة والعقال » ، كآنق شباب العرب ، وهو في اول مطلعه الشعري اللافت للذهن ، ومثله قليل بعد امراء الشعر . وكنا اثنين من جملة افواج الشباب العربي الهازج بالاحلام القومية اثر ثورة الحسين بن علي ١٩١٦ في الحجاز ومن نهايات تلك الثورة دخول الجيش العربي الثائر مع (الامير) فيصل دمشق خريف ١٩١٨ وذانك الاثنان هما عبدالله النجار وكاتب هذه السطور فقد وقع التعارف بيننا وبين الاديب الشاعر محمد سليمان الاحمد وكان عبدالله النجار يقول الشعر . ثم بعد ١٩٢٠ ودخول غورو دمشق تبدلت الاحلام حقائق مرة ، وما كان ينبغي ان تكون مرة لو سلك العرب الجدد ، وما هنا موضع الاستطراد الى غير موضوع .

كيف نشأ لقب « بدوي الجبل » ، نأخذه من المقدمة للاستاذ اكرم زعيتر ، وهي مقدمة وعت فاستوعبت يمكنك ان تعلم منها لا ما يتعلق بشعر « بدوي الجبل » وكفى ، بل تمتد جنباتها الى الآفاق النفسية التي تجول في صدر الشاعر ، فتدرك اطواره التي لا يمكن أن تنتقل من حيز القوة الى حيز الفعل الا بعوامل عرفها فيه صفيه وخليله الاستاذ اكرم ، كما سنرى .

كان الشاعر الفتي احمد سليمان الاحمد يختص بقصائده الفرائد جريدة « الف باء » اليومية بدمشق لصاحبها الاستاذ الامام في الصحافة يوسف العيسى (هو ابن عم عيسى العيسى الفلسطيني شغل عملا في قصر الملك فيصل بدمشق ثم رجع بعد ١٩٢٠ الى وطنه يافا واعاد اصدار جريدة « فلسطين » المشهورة بمقارعة الصهيونية وكانت هذه الجريدة قد اصدرها في يافا يوسف العيسى وعيسى العيسى سنة ١٩١١) ومعاصرو تلك الايام وحوادثها يذكرون قصة « ماك سويني » محافظ مدينة كورك الايرلندي المشهور وبلاده وقتئذ (١٩٢١) آخذة بخناق الانكليز طالبة الاستقلال . فنذر مكسويني نفسه صياما حتى الموت ليخرج الانكليز من بلاده ، فتلفت العالم الى هذا الايرلندي الناذر هذا النذر ، وتحركت ضمائر ونفوس نحوه ، واكبر الخلق عمله . ووضع محافظ كورك الصائم ، والعالم انه ملاق الموت في النهاية ، صلاة لبني قومه يرتلونها في صلواتهم في الكنائس . فحياه كثير من شعراء العالم بالاكبار وهم يترقبون اخباره حتى قضى شهيدا .

ومن الآن الى تمام القصة ، قصة نشوء لقب « بدوي الجبل » ، ننقله بعباراته وكلماته من المقدمة ، لا اقتباسا موجزا . قال الاستاذ اكرم زعيتر :

« ... فنظم شاعرنا (احمد سليمان الاحمد) تلك الصلاة بالعربية (١٩٢١) وبعث بها الى « الف باء » مع تحية شعرية لروح الشهيد (القصيدة في الديوان) وفي اليوم التالي رأى قصيدته مذيلة بتوقيع « بدوي الجبل » فسعى الى صاحبها الاستاذ يوسف العيسى يسأله عن السبب ، فأجابه : ان الناس يقراون للشعراء المعروفين ولست منهم . وهذا التوقيع المستعار يحملهم على ان يقرأوا الشعر للشعر وان يتساءلوا : من ذا يكون هذا الشاعر المجيد ؟ وانت في ديباجتك بداوة ، وانت تلبس العباءة وتعتمر العقال المقصب ... وانت ابن الجبل » . واستمر الاستاذ اكرم يقول : وتوالت قصائد «بدوي الجبل» ونقلتها صحف في بيروت شادية بها ، والناس يتساءلون : عمن يكون ؟ أهو خير الدين الزركلي ؟ أم هو خليل مردم بك ؟ وهما شاعرا الشام آنئذ ، الى ان دعا صاحب الجريدة نخبة من الادباء واعضاء المجمع العلمي الى احتفال قدم فيه الشاعر : « هوذا بدوي الجبل ، انه محمد سليمان الاحمد !! » .

ثم قال الاستاذ اكرم : « وغلب اللقب على الاسم ، حتى حل محله في البيت وخارجه . ولا ازال اذكر انه حين يمم القاهرة لحضور المؤتمر البرلماني العربي سنة ١٩٣٨

لاجل فلسطين — وكنت فيها — كان يتلقى لكل اجتماع او حفلة بطاقتين احداهما معنونة : « سعادة بدوي بك الجبل » وثانيهما « سعادة النائب محمد سليمان الاحمد » ومما اذكره توكيدا للقول ان نفاسة الشعر تعلن نفسها ، ان مجلة « الهلال » المصرية ، نشرت ابياتا من الشعر عزتها خطأ الى سيدة ، وقرا الشاعر المهجري الكبير جورج صيدح تلك الابيات المعزوة الى سيدة لم يسمع بها فكتب الي من باريس : « هذه الشاعرة الساحرة تسجد امامها قوافي الشعر ، ويحني هاماتهم شعراء العصر ، ادعو لها بطول العمر » وكنت اعلم ان تلك الابيات من قصيدة « اللهب القدسي » لبدوي الجبل (في الديوان) . وما لبثت المجلة حتى صححت اغلوطتها . ولكن عبارة صيدح جاءت على وجازتها تقويما عفويا لشعر من شاعر » .

اذا كان شعر « بدوي الجبل » هو في الغناء العربي سماعا وقراءة في الصحف منذ نحو ستين سنة دون ان تكون قصائده اتخذت شكل ديوان ، فظهور هذا الشعر منذ عدة اشهر في هذا الديوان المترف فنيا ، يعد في تاريخ الادب العربي حادثا كبيرا في العالم العربي المترامي الاقاليم، هذا على الجملة ، وحادثا اكبر في الشام والعراق ولبنان والاردن وفلسطين وامارات الخليج والسعودية وسائر الجزيرة واليمين ، وهذا على الخصوص .

ذلك لان « بدوي الجبل » انما خلق في العقد الاخير من القرن الماضي لرسالة كتب له ان يؤديها ، فحمل الرسالة وبلغها في هذا الديوان فحق له ان يقول : اللهم اشهد اني وفيت بالرسالة وبلغتها ، وفي يميني هذا الديوان واخبار ما تحملته من عذاب في السجون والمعتقلات وقطع الفيافي والصحاري بين الشام والعراق ! واني انا القائل في بيت من قصيدة :

ليس بين العراق والشام حد هدم الله ما بنوا من حدود

ذلك لان شعر « بدوي الجبل » العالي في عظمة ينابيعه الابداعية ، الكوثري ، المنطلق من ملهمات نفسية وجيشان داخلي في آفاق ذاته ، يشتمل على مميزتين خالدتين ، ما بقي شعر ونفس ووتر على وجه الارض في آسية وافريقية ، وما زال قائما ما كتب على الامة العربية ان تصنعه نحو فلسطين الغالية الحبيبة ، سواء امضت « كمب دافيد » الى غايتها ام اجهضت ، فالميزة الاولى « روحية » تشعر بها شعورا ولا تراها في الكلمات والابيات على وجه محسوس . وثاني الميزتين قيام شعر « بدوي الجبل » في رسالته برثاء من رثى وبكاء من بكى من الرعيل ، الذين تقدموا الصفوف وحملوا الرايات ، فشربوا الحتوف وانتهوا شهداء تحت الثرى من شمالي الحجاز الى شمالي حلب .

في وجه المستعمر ، الانكليزي في فلسطين والاردن والعراق ، والفرنسي في سورية ولبنان ، بين الحربين وبعد الحرب الثانية ، كانت صرخات اولئك الرجالات الابطال من الرعيل الاول « لا » ، تقصم الظهور ولا تثني من عزائمهم السجون والمنافي .

اذا كنت عربيا مؤمنا ، واعوذ بالله ان تكون عربيا جغرافيا ، واذا كانت عروبتك نقية صافية ، فمتى قرات ديوان « بدوي الجبل » بعد مقدمته ، ستدرك انك قمت بسياحة فكرية خيالية جبارة ، هي عندي اهم من وصول الاميركان والروس الى القمر ، فتم وتجول في « سوريا هنانو » وصحبه وانصاره ، واجعل تجوالك بين « القبور والقصور » وابدأ بالقبور اولا ، واستمع الى حديث الصفائح ، ثم انظر فانك تشاهد « العظام الرميم » تتحرك بغير مسيح يناديها ، وكأنك تسمعها تتكلم ، وقد انتفضت عنها الاكفان ، ونزل عليها بيان الجنان . ثم تحول الى المدائن والقرى وشاهد القصور المتناغية . اما الاحياء فهم الهوامد في القبور الناطقة . هنانو وصحبه سكنوا القبور بعد حمل الراية . فجاء « بدوي الجبل » يصف هذا الرعيل . وهم يسمعونه كما هو سمعهم .

الديوان كله ، المترف الطباعة الفنية ، في (٥٥٥) صفحة وقد شغلت المقدمة الرائعة (٦٠) صفحة منه ، ولم ار بعد في كل ما طالعت من دواوين ومقدماتها ، مقدمة جانست الديوان وآلفته ، وامتصت لبابه ، واعطتك صورة عن نفسية الشاعر ، كهذه المقدمة السلسة المباني العامرة بما دق وجل من المعاني ، وليس السبب على ما اعتقد عروة الاخوة الوثقى بين محمد سليمان الاحمد واكرم زعيتر . وفي الديوان اشادة بذكر اكرم وكريم خلاله موجهة « الى اخي الاعز الاعلى اكرم زعيتر » ، بل جاءت نفاسة المقدمة وجلالتها من الدقة الفنية في الباب ، وما أوتيه الاستاذ اكرم من براعة النسج واحكام في ابراز الصور النفسية في صدر الشاعر . فاذا قلنا ان سيرة « بدوي الجبل » على الجملة يمكن ان تؤخذ من المقدمة فنحسب هذا هو الواقع ، حتى اذا انتهيت من المقدمة وددت لو مضت بك امدا اطول ، فتزداد اطلاعا على آفاق الشاعر .

واختلط الصديقان معا اختلاطا نفسيا جعلهما كنفس واحدة ، في المودة الملتحمة . ومع هذا فجرى الاستاذ اكرم في المقدمة وهو يحلل « الشاعر » على نمط لا تدفعه الصداقة بل الحقيقة . وفي موضع من المقدمة (ص ٢٨ وما بعدها) يروي الاستاذ اكرم بعض ما له مع صاحبه من تجارب ذات قيمة ووزن ، والمعنيون بعلم النفس يعتبرون هذا داخلا في منطقة من مناطق هذا العلم .

قال الاستاذ اكرم ما هو حري بي ان انقله الى القارىء برمته والواقعة عن طريق الحكاية لذيذة دائما :

« في خريف ١٩٤٠ وقد احتل الالمان باريس ، قرر

نادي « المثنى » ببغداد ، وكنت من مؤسسيه ، الاحتفال في التاسع من شعبان بذكرى الثورة العربية التي اطلق الحسين بن علي رصاصتها الاولى ، واردنا تظاهرة عربية وحدوية ، ومناسبة لتجميع القوى القومية ، والدعوة الى التخطيط للمستقبل العربي ، ومواجهة الاحداث بخطة محكمة وعزيمة ماضية ، ورجوت البدوي ان يكون شاعر الاحتفال فاعتذر ، فألححت في الرجاء فأصر على الاعتذار ، فهامست نفسي : « لا بد من اثارة عاطفية تحل عقدة من لسان الشاعر ! » وانطلقت اتحدث : « فرنسا التي نكلت بسورية ... فرطت في اسكندرونة ... دمرت دمشق ... انت هنا مشرد تترشف رزقك مدرسا ، وابوك الشيخ الجليل يتحرق لوعة الا يـراك ... اخوانك : يوسف العظمة ، رشيد طليع ، احمد مريود ضحاياها ... الجزائر ... المغرب ... تونس ما فعلت فيها ؟ يا لله هل كنا نحلم ان يمتد بنا العمر فنراها تذوق ما اذاقتنا ؟ وأبو الثورة ، الحسين بن علي انتهى به الغدر البريطاني الى ما تعلم مجحودا ، وقبرا في جوار الاقصى ، وفي ذكرى الثورة انت انت الذي تنصفه ميتا كما انصفته حيا » . وعلى هذه الوتـ ة است[illegible] ان برقت عيناه ، وبريق عينيه صدى نبضات فؤاده ، ودمعت عيناه ، ودموع البدوي مطالع القصيدة ، او هي كلماتها النثيرة ، ورشح جبينه بالعرق ، وانصرف يهمهم . وارق تلك الليلة ... وغاب يومين ، وفي اليوم الموعود شخصت ابصار الحشد في النادي الى البدوي وارهفت الآذان فانطلق :

يا سامر الحي هل تعنيك شكوانا رق الحديد **ومـا رقوا لبلوانا**
خـل العتاب دموعا لا غناء بها وعاتب القـوم اشلاء ونيرانـا

وماج النادي حين جلجل الشاعر :

انـي لاشمت بالجبار يصرعـه طـاغ ويرهقه ظلمـا وعدوانا
سمعت باريس تشكو زهو فاتحها هلا تذكرت يـا باريس شكوانا
عشرين عاما شربنا الكاس مترعة من الاذى فتملي صرفها الآنـا
تغضي عن الذل غفرانا لظالمها تانق الذل حتـى صار غفرانا

انتهى كلام الاستاذ زعيتر بعد ان اعلمنا ان هذه القصيدة طارت كل مطار في سائر الاقطار العربية .

لمـا انتهيت من قراءة الديوان للمرة الثانية قراءة مستوعبة تمنيت لو كان اثنان من رجالات الرعيل قد رثاهما بدوي الجبل شعرا ، وهما ياسين الهاشمي ورشيد طليع ، وكلاهما الرائد القائد . والديوان قسمان : العباب ، وهذا يشغل ٤٢٩ صفحة ثم ما سماه « البواكير » وهو يعني بهذا القصائد التي قالها في النهج الاول مـن حياته الشعرية الى حد سنة ١٩٢٥ ، وهي لا تشغل اكثر من ١٢٦ صفحة .

فبدوي الجبل من وجهة القومية العربية الهابة اليوم في كل رقعة ورياحها الى مزيد عاصف ، ليست رسالـة « هواية » بل رسالة « روح » وحياة باقية بعد الموت ، فهي خلود ومن الخلود . وكما خالد عظماء شعراء العرب الفاتحين ، هكذا ايضا خالد بدوي الجبل ، ما اصح قول الاخطل الصغير فيه وهو طالع في السلم : « ان شعر البدوي ارجح من عمره » وقول الشيخ الميزان عبد القادر المغربي : « انه الشاعر الذي تمرد على ناموس التدرج » .

والامة العربية الكبرى اليوم ، التواقة بكل اشواقها الى التماسك العملي لتدرأ عنها الدخيل ، وتسهم في نسيج الحضارة ، في جميع مواطنها في آسية وافريقية ، حري بشبابها المناضل ، الحكيم ، الخبير ، ان يرى في ديوان « بدوي الجبل » ضالة منشودة من اية جهة من جهات الجهاد والنضال المشترك . هذا الديوان بروحه هو للعرب كافة ، لا لقطر او قطرين . هو معلم ، ومدرسة ، ومهذب ، وتاريخ روحي لنضال الرعيل الاول في الشام . هذا الديوان لا تجثم طيوره على اشجار الشام ونخيل العراق وكفى ، هو لموريتانيا والسودان والصومال في افريقيا ، كما هو للسعودية واليمنين والخليج ، او هو بتعبيرنا الثقافي من المحيط الى الخليج .

لم تكن حياة بدوي الجبل منذ ١٩٢٠ ، منذ دخوله هيكل الشعر ، او منذ اطلق عليه يوسف العيسى « بدوي الجبل » على النحو الذي علمناه ، حياة رفاه واستقرار ونعمة الدنيا . بل كانت في مهب الريح ، والاستعمار الفرنسي والبريطاني كبلا العرب تكبيلا ، والاجنبي المستعمر قلما يتعامل مع احرار العرب الا بالمعتقلات والسجون والمنافي والمطاردة ، وهذا كان نصيب بدوي الجبل منه عظيما . واحيانا كان يدنو من النهاية المسماة بالموت فتنقذه العناية . وعندما صفت لسوريا الايام واستقلت كان بدوي الجبل النائب الفائز في كل الدورات عن اللاذقية في البرلمان وتقلد منصب الوزارة مرارا في دمشق ، والآن مملكتـه ديوانه . اعز الله به امته العربية .

رأس المتن ــ لبنان **عجاج نويهض**

وقعة عين جالوت

من المعارك التاريخية الفاصلة التي انتصر بها العرب على التتر

عدنــان مــردم بــك

*

يتصرم الماضي حيالك والغد   وتليد مجدك كالزمان مخلد
سطر الفخار على ثراك ملاحما   تروى على كر الزمان وتنشد
في مسمع الدنيا ترن زمازم   عن غابر أطيافه تتجدد
وجحافل للمجد دونك لم تزل   راياتها خفاقة تتأود
ألق المروءة ساطع بوجوهها   والفجر من أسيافها يتوقد
طلعت كمنبلج الصباح على الربى   والليل أشمط ناحل يتنهد
تجري فيعصف للمنية زاخر   ويمده للهول آخر مزبد
والريح تجار بالعويل كأنها   ثكلى تعالج زفرة وتصعد

تاريخك النصر الاغر تألقت   صفحاته بثواقب لا تخمد
(بيبرس)(١) شيد للبطولة سامقا   هيهات يوما أن يطاوله غد
مهر العلى بكتائب في مثلها   ما كان يصعب عن مجد مقصد
قاد الجحافل للمكارم وانبرت   بجناح نسر في الفيافي تنجد
لم يثنه وعث الطريق ووعره   عن غاية مثلى له تتمرد
ألف مصاحبة الحوادث نفسه   والمرء في دنياه ما يتعود
واستعذبت مر الشقاء على النوى   في كل مرتحل تروم وتقصد
واستأنست من وحشة بشجونها   أنس النزيف(٢) اذا تغنى منشد

وافتك كالقدر المتاح عصابة   بقواضب مسلولة لا تغمد
صفر الوجوه كأنما قسماتها   من دونها علل الضنى تتجدد
شحبت ، ولم يك عن سقام او أذى   منها الشحوب ، وشرها يتوعد
والسم اصفر ناحل ، وبلاؤه   جلل ، تقوم له النفوس وتقعد
عصف المغول بركبهم كجوائح   أطباقها الالم الذي لا ينفد
يتسارعون وللمنية حولهم   يم يزمجر غربه ويعربد
وكان اطباق القتام وراءهم   ليل يجيش جناحه المتلبد
جاؤوك(٣) للامر العظيم كأنهم   كسف العذاب او البلاء الاسود

سطعت مشعشعة شفار سيوفهم   وكأنها تحت العجاجة فرقد
أو أنها برق يسيل عقيقه   من حالق والليل أبكم مقعد
ونبالهم رسل المنون تساقطت   في شاسع تفري ولا تتردد
ورماحهم منصوبة كأساود(٤)   أو أنها أشطان بئر تقعد
برمت بهم سبل الفجاج وشفها   ليل أهم دون الحمى متوطد
وعلى الديار من الخراب شواهد   بلسان حال أعربت تتشهد
وعلى الوهاد من الفواجع سيرة   سطر الفواجع بالدماء مهند
وبكل نفس من جوائح مكرهم   علل تضيق بحملهن الاكبد

عصفت كتائبهم عليك مغيرة   وكأنها بحر يمور ويزبد
أمواجهم زبر الحديد تلاطمت   فهوت مصفقة ترن وترعد
والناس من هول المصاب وريبه   مزق يطيح بها الردى ويبدد
حتى أتى (بيبرس) في ثوب الدجى   يطوي الفجاج كعاصف يتوعد
صدم المغول برحب صدر والضحى   خلف الغمائم وجنة تتورد
ساق الجوائح جحفلا وكتائبا   تجري على شطط وحينا تقصد
ورمى الزعازع بالزعازع مشهرا   من رأيه شهب الردى تتوقد
وجرى الى ورد المنون مهرولا   كالهيم لاح لها بقفر مورد

قصف المغول بثاقب من بأسه   سال الحديد له ولان الجلمد
وجرى كعاصفة يشد على العدى   بصواعق نيرانها لا تخمد
نسج الرجال من الحديد مغافرا   ودروعه نسج اليقين ، تجلد
ما خام من خدر الردى في مشهد   ضنك يضيق به ويعيا الفدفد
نصب الجبين دريئة يوم الوغى   ليصان تاريخ هناك ممجد
ورأى بحبل الصبر خير مساعد   ان عز في يوم الكريهة مسعد
لا سيفه في مأزق متردد   أو رأيه في مشهد يتردد
هانت بعينيه الحياة ولم يجد   غير العلى في الارض شيئا ينشد

نشر الغبار سحائبا من غيهب   أطباقها كسف الاذى تتلبد
ريعت لها كبد الكمي وشفها   أن الدجى بلوافح يتوقد
والخيل ما تنفك تصهل عن جوى   كالمستغيث وليس ثمة منجد
تشكو محمحمة برجع صهيلها   وقع النصال وللنصال تجدد
والارض وشاها العذاب بريطة   من صبغه حمراء ليست تعقد
جثث كأوراق الخريف تساقطت   تترى وليس لجرحهن مضمد
هصر الحمام فروعها فتناثرت   أوراقها بيد الردى تتبدد
نثرت مبعثرة بأطباق الثرى   في شاسع كالنيم أو هو أبعد
ودم تقاطر صوبه متدفقا   وكأنه الغمر الذي لا ينفد

لما رأى الدخلاء كل كتيبة   طلعت لهم ذودا يساق ويطرد
عادت أمانيهم شبا بحلوقهم   تفري بمخلب كاسر يتصيد
وتراجعوا حذر المنون القهقرى   كسوائم حيرى جرت تتشرد
وجدوا الغنيمة في الفرار من الردى ،   والموت حتم لا يرد ويبعد
و (بيبرس) في الحبر السوابغ دونهم   يرمي بسهم للمنية تقصد
متبسم والليل داج سجفه   متهلل والرعب دان يرعد
ما زال يرميهم بكل عظيمة   ويجزهم جز الهشيم ويحصد

غادى سراياهم بكل ثنية   فيئا تقاسمه الحمام الاسود
وأعاد للاذهان صورة ما انطوى   (لأمية) عن غابر لا يجحد
أو لم يصن (بيبرس) اكرم حرمة   في مثلها يحلو الفداء ويحمد
وغفت عيون كان أرقها الاذى   زمنا وقرت عن وجيب أكبد

ما (عين جالوت) بخاف يومها   وحديثها ملء المسامع ينشد
لله يومك في الزمان فانه   يوم أغر على الزمان مخلد

---

(١) ـ بيبرس : هو الملك الظاهر بيبرس الذي هزم جيوش التتر في معركة عين جالوت. (٢) ـ النزيف : صريع بنت الحان . (٣) ـ الخطاب الى بيبرس . (٤) ـ الاساود : الخبيث من الافاعي .

دمشق   عدنان مردم بك

من مشاهير علمائنا في الغرب

السمعاني والغزيري

بقلم يوسف اسعد داغر

* * *

بين لبنان والكتاب تفاعل موصول تم على ايدي فريق كبير من اوائل اللبنانيين البررة ، على مدى الدهور ، فأدى بعد تطوره الصاعد الى ما ينعمون به من سبق حضاري وفكري وثقافي وما تم لهم من تجل مشرق تبدى في هذا العطاء الكامل وهذا البذل الكريم والجود السخي . وهو تفاعل لم ترتسم صورته بعد على وجهها الاكمل لان تاريخ الفكر اللبناني لم يقم من يضعه بعد ولا قام بيننا من يؤرخ لهذا التفاعل الذي بدأ مع التاريخ ، بين الكتاب واللبنانيين ، وان بدت ، هنا وهناك ، بعض ومضات يبرز منها شيء من جمال الصورة وقسماتها الاخاذة .

يمتنع علي في مثل هـذا المجال الضيق استعراض الصورة البارزة لهذا التفاعل وذكر اسماء الرعيل من عباقرة اللبنانيين الذين كهنوا ، منذ القدم ، وما زالت ذراريهم تكهن لهذا الكتاب ، فعملوا على رفع قبابه.عالية والتسبيح حوله والتعريف به ونشره بين الملأ والسهر على جمعه ، في ما وصل الينا خبره من ربائز صور وجبيل ، وفي غيرهما من مراكز المحفوظات ، شرقا وغربا ، قديمـا ووسيطا وحديثا ، فكانوا للكتاب خداما بررة نعموا برفاقته العذبة وعملوا على الترفيه عنه ممهدين له سبل الانطلاق والانتشار والذيوع ليبلغ نوره الساطع الملأ الاعلى والعالم الارحب .

هذا العمل اللبناني في خدمة الكتاب ، وهذا التفاعل المتبادل بين الكتاب واللبنانيين ، يؤلف وحده ، لو عرف السادرون في غيهم وغفلتهم ، ملحمة مـن أعف واشرف واوقع الملاحم على القلوب والعقول ، من اكرم اي ملحمة طلع بها علينا التاريخ عبر الاجيال . فمن للبنان ، يجلو لنا هذه الملحمة التي نسجت خيوط لحمتها وسداها من نار ونور وهي حبكة الملهمين في الجبل الملهم ، فأطلقوها في مهب الارياح الاربعة ، فغمرت الشرق القديم واستضاء بسناها الاقوام الواقعة على شطآن البحر الابيض المتوسط ، البحر اللبناني الفينيقي ، مدة الف سنة ونيف .

قلت ليس في وسعنا ان نستعرض للمشاهير من هؤلاء اللبنانيين الذين تولوا سدانة الفكر وكهنوا للكتاب منذ القديم حتى اليوم . الا اننا سنقف هنيهة نتملى النظر في العمل المشرف الذي قام به بعض اللبنانيين ، في حقل الكتاب ، والتعريف له في القرن الثامن عشر ، في مكتبات اوروبا ولا سيما في بعض مكتبات ايطاليا والاسكوريال في اسبانيا وفي المكتبة الملكية في باريس . فهم لبنانيون اقحاح رأوا النور في لبنان واكتحلت عيونهم بأنواره وعبوا مـن مائه القراح ونعموا بهوائه وجوه الحليم ، فصقل الغرب عقولهم وامن لهم تهذيبا عاليا وخرجهم في مذاهب العلم حتى اذا ما تم لهم ما تم من عدة وعتاد ، انصرفوا كالمتقدمين من السلف الكريم ، لحمل مشعل الثقافة وخدمة العلم فبذلوا الاكرمين من نور العين والوقت الثمين ، فاستحقوا شكر العاملين وخلدوا على الدهر مع هؤلاء الخالدين .

السمعاني ، يوسف شمعون ١٦٨٧ — ١٧٦٨

لمع عدد من السماعنة في خدمة الاستشراق والعمل في مكتبات اوروبا ولا سيما المكتبة الفاتيكانية . اشهرهم جميعا العالم يوسف السمعاني .

ولد علامتنا الكبير في طرابلس عام ١٦٨٧ من اسرة ، اصلها من حصرون ، أرسل الى روما وله من العمر ٨ سنوات ليتلقى فيها تعليمه . امتاز بثقافته الموسوعية واتقن على ما قيل نحوا من ٣٠ لغة مختلفة ونال الملفنة في الفلسفة واللاهوت . ارسله البابا اقليمس الحادي عشر الى مصر عام ١٧١٥ في سبيل الحصول على المخطوطات العربية والقبطية واستطاع بعد سنتين ان يحمل معه عددا طيبا من هذه المخطوطات ، كما نسخ عددا كبيرا منها . واخذ منذ ذلك الحين في اعداد كتابه « المكتبة الشرقية » .

ارسله البابا عام ١٧٣٦ ممثلا لـه لرئس المجمع اللبناني الذي تم عقده في اللويزة سنة ١٧٣٦ . وهذا المجمع هو اكبر واهم مجمع تم عقده في تاريخ الكنيسة المارونية . ويؤلف هذا المجمع بأعماله وقراراته ، الدستور الاول للطائفة المارونية بعد ان اقره الكرسي الرسولي في اول ايلول سنة ١٧٤١ .

ومكافأة له ، وتقديرا للجهود العظيمة والعمل الكبير الذي قام به السمعاني ، عينه البابا رئيسا لكهنة القديس بطرس وحافظا لمكتبة الفاتيكان ومستشارا في مجمع البروباغندا ، كما عينه ملك نابولي والصقليتين مؤرخا لملكة نابولي كما منحه لقب مواطن شرف لنابولي . وسيم عام ١٧٦٦ ، مطران شرف على مطرانية صور .

وقد حدث له في سنواته الاخيرة ما نغص عيشه اذ شب حريق في شقته التهم الكثير من مؤلفاته المخطوطة . وقد اثرت هذه الكارثة تأثيرا كبيرا على صحته وعجلت في وفاته . فعمت الحسرة زملاءه المستشرقين في اوروبا لوفاته .

خلف السمعاني الكبير نحوا من ٤٨ اثرا علميا بين مطبوع ومخطوط بينها ما لم يسبقه اليه من قبل . واشهر مؤلفاته واسيرها اسما وذكرا هو كتابه المعروف بـ« المكتبة الشرقية » وهو كتاب ضخم يقع مطبوعا في ٤ ملجدات كبيرة تم نشره بين ١٧١٩ — ١٧٣٦ ، فهرس فيه للمخطوطات التي دخلت المكتبة الفاتيكانية في عهد حبرية البابا اقليمس الحادي عشر وعرف بها ووصفها وصفا علميا كما ترجم لمؤلفيها منكتاب العرب والسريان والكلدان والاقباطواليونان وغيرهم مع ما كان مجهولا من تراجمهم حتى ذلك العهد ، فأدى بهذا العمل اكبر خدمة للعلماء شرقا وغربا . ويذكر لنا الكردينال ماي الذي ترجم للسمعاني ووضع لنا قائمة مفصلة لمؤلفاته المطبوعة والمخطوطة ان التصميم الاول « للمكتبة الشرقية » خطط لاثني عشر مجلدا .

وقد عرف هذا الفهرس الضخم المستشرقين بكنوز الشرق وحملة الفكر فيه .

ثم قام بعده ابن شقيقته المطران اسطفان عواد (١٧٠٩ — ١٧٩١) فوضع فهرسا آخر لمخطوطات المكتبة الفاتيكانية طبع في روما بين ١٧٥٦ — ١٧٥٩ بعنوان « فهرس مخطوطات المكتبة الفاتيكانية » يقع في ثلاثة مجلدات ، وصف منها ١٧٤٣ كتابا مما لم يدخل في فهرس السمعاني .

الغزيري ، مخائيل ١٧١٠ — ١٧٩١

هذا عالم لبناني آخر عمل في خدمة المكتبات وفهرس لمجموعة المخطوطات العربية الموجودة في خزانة دير الاسكوريال الواقع على مقربة من مدريد .

ولد علامتنا الغزيري في بلدة غزير ، من اعمال كسروان عام ١٧١٠ ، وارسل الى المدرسة المارونية في روما ، حيث درس الفلسفة واللاهوت . سيم كاهنا عام ١٧٣٤ ، وانتدب لمرافقة السمعاني الى المجمع الماروني الذي عقد في اللويزة عام ١٧٣٦ .

عمل مدة استاذا للاهوت في المدرسة المارونية في روما واستدعي عام ١٧٤٨ ، الى اسبانيا للعمل في فهرسة مجموعات المخطوطات في دير الاسكوريال التي كانت تعتبر اذ ذاك اغنى مجموعة من نوعها للمخطوطات العربية في اوروبا كما عين حافظا لهذه المكتبة بعد وفاة امينها عام ١٧٥٦ ، المدعو اندريس دي سان جان .

وضع الغزيري كتابه « فهرس المكتبة العربية الاسبانية » في مجلدين كبيرين فهرس فيه ل ١٨٥١ مخطوطا عربيا ، ظهر مطبوعا بين ١٧٦٠ — ١٧٧٠ . فكان اول فهرس علمي لهذه المجموعة المهمة من المخطوطات .

وعلى هذا الفهرس اعتمد المستشرق الفرنسي هرتويغ ديرنبورغ في وضع فهرسه الجديد لمخطوطات الاسكوريال ، في مجلدين لم يكتمل ثانيهما اذ فاجأ الموت صاحبنا قبل ان يظهر المجلد الثاني بكامله وقد اكمل عمله المستشرق الفرنسي المعروف ليفي بروفنسال ، كما صدرت تكملة له عام ١٩٢٨ في ٣٣٠ صفحة .

كتب سيرة الغزيري وترجم له ترجمة مستفيضة المؤرخ العلامة الاب ميشال بريدي ، احد كهنة كنيسة مار مارون في طرابلس — سابقا في بحث له باللغة الفرنسية بعنوان : « المستشرق اللبناني ميخائيل الغزيري » — حريصا ، مطبعة الآباء البولسيين ، ١٩٥١ ، ص ٣٨ .

هذه لمحة خاطفة في بعض اعمال اللبنانيين في خدمة المكتبات وفهرسة المخطوطات ، في القرن الثامن عشر . ولنا عودة ثانية الى الموضوع في مناسبة اخرى والله الموفق .

يوسف اسعد داغر



محمد العدناني

عثرات الادباء

بقلم محمد العدناني

* * *

المنجنيق ، المنجنوق ، المنجليق

آلة الحصار التي ترمى بها الحجارة الكبيرة على المدن والحصون ، يخطئون من يطلق عليها اسم المنجليق (بفتح فسكون ففتح) ، ويختلفون في الصواب ، هل هو المنجنيق (بفتح الميم) ، ام بكسرها ، ام المنجنوق ، والحقيقة هي :

(أ) المنجنيق (بفتح فسكون ففتح) : ابن الاعرابي ، والصحاح ، والمحكم ، والنهاية ، والمختار ، واللسان ، والمصباح (في مادة مجن) ، والقاموس ، وصبح الاعشى ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

(ب) والمنجنيق (بكسر الميم) : ابن الجواليقي ، والنهاية ، والمصباح (ربما كسر اوله لانه آلة) ، والقاموس ، وصبح الاعشى ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، والوسيط .

وذكر القاموس والتاج ان فتح الميم اعلى .

(ج) والمنجنوق (بفتح الميم) : الليث بن سعد ، وابن الاعرابي ، والمصباح ، والقاموس ، وصبح الاعشى ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن .

(د) والمنجليق (بفتح الميم) : اللسان ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، وذيل اقرب الموارد ، والوسيط .

اما المتن فقد ذكر المنجليق دون ان يضبط حروفه بالشكل .

والمنجنيق واخواتها الثلاث كلمات مؤنثة كما قال زفر بن الحارث الكلابي :

لقد تركتني منجنيق ابن بحدل احيد عن العصفور حين يطير

وفي الصحاح : « من العصفور » . وقد ورد الفعل (حاد منه) مرة واحدة في القرآن الكريم ، وذلك في الآية ١٩ من سورة (ق) . وكلا حرفي الجر (عنه ومنه) جائزان .

وهنالك اجماع على ان كلمة المنجنيق واخواتها من اصل فارسي . وروى صبح الاعشى في الجزء الثاني ، في باب « آلات الحصار » كلمة خامسة هي المنجميق (بفتح الميم) .

وتجمع المنجنيق (بفتح الميم وكسرها) على منجنيقات ، ومجانق (بفتح الميم) ، ومجانيق . والمنجنوق على منجنوقات . والمنجليق على مجاليق .

وتصغر على مجينيق ، ما عدا المنجليق فان تصغيرها هو : مجيليق (بضم ففتح) .

اما فعله فهو : جنقه (بفتح النون) يجنقه (بكسرها) جنقا (بتسكينها) : رماه بالمنجنيق فهو : جانق .

وهنالك الفعلان مجنقه (بفتح فسكون) ، وجنقه (بتضعيف النون) ، وارجح ان الفعل الثاني يعني المبالغة في رمي الحجارة بالمنجنيق .

وهنالك :

(١) جلق (بفتح اللام) الاعداء : رماهم بالمنجنيق .
(٢) منجق (بفتح فسكون) الحجر : رماه بالمنجنيق .
(٣) الجنق (بضم فضم) : (أ) حجارة المنجنيق .
(ب) اصحاب تدبير المنجنيق .

جن عليه الليل ، أجنه ، جنه

ويخطئون من يقول : اجنه (بتضعيف النون) الليل ، بمعنى : ستره ، ويقولون ان الصواب هو : جن (بفتح فتضعيف) عليه الليل ، اعتمادا على قوله تعالى في الآية ٧٦ من سورة الانعام ، وعلى ما جاء في النهاية (وفي الحديث « جن (بفتح فتضعيف) عليه الليل » اي ستره) . وروى اللسان ايضا هذا الحديث .

ولكن :

اجاز استعمال جملتي : جن عليه الليل ، واجنه الليل كلتيهما : معجم الفاظ القرآن الكريم ، وادب الكاتب ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والاساس ، والمختار ،

واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وتحمل جملة : جنه (بفتح فتضعيف) الليل معنى الجملتين : جن عليه الليل ، واجنه الليل ، اي : ستره .

وفعله جنه يجنه (بضم الجيم) جنا (بفتحها) وجنونا (بضمها) ، وجن عليه يجن (بضمها) جنونا .

أجن الله فلانا و جننه

ويخطئون من يقول : أجن الله فلانا (بفتح الجيم وتضعيف النون) ، اي : اذهب عقله ، ويقولون ان الصواب هو : جننه (بفتح فتضعيف) . وكلا الفعلين المتعدين صواب .

والفعل (أجن) يأتي لازما ومتعديا ، ومن معانيه :

(١) أجن فلان : فقد عقله . (٢) اجن الشيء عنه : استتر .
(٣) اجنت المرأة جنينا : حملته . (٤) أجن الشيء : ستره .
(٥) أجن الميت : كفنه . وفي الحديث : « ولي دفن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) واجنانه علي والعباس » .
(٦) اجن صدره الشيء : أكنه .

ونقول عمن أصيب بالجنون : جن (بضم الجيم) يجن جنا (بفتحها) ، وجنة (بكسرها) ، ومجنة (بفتح ففتح فتضعيف) ، وجنونا .

اما جن (بفتح فتضعيف) فلان بمعنى : فقد عقله ، فهي من اقوال العامة .

جهـده ، أجهـده

ويخطئون مـن يقول : اجهده (أرهقه) ، ويقولون ان الصواب هو : جهده (بفتح الهاء) ، يؤيدهم ما جاء في معجم الفاظ القرآن الكريم ، والاساس الذي اكتفى بقوله : جهد نفسه .

ولكـن :

يجيز جهده واجهده كليهما كل من ادب الكاتب (باب ابنية الافعال) ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والمغرب (أجهد لغة قليلة)، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط.

وفعله : جهده يجهده (بفتح الهاء) جهدا (بفتح فسكون) .

الجهـــود

ويخطئون من يجمع الجهد (بضم الجيم وفتحها) على : جهود ، معتمدين على اهمال المعجمات وضع جمع لهاتين الكلمتين التوامين . ولكن المعجمات ايضا لا يذكر واحد منها ان الجهد (بضم الجيم) والجهد (بفتحها) لا يجمعان .

وليس هنالك ما يمنع جمعهما على جهود ، لان كل اسم ثلاثي ، ساكن العين ، مضموم الفاء يجمع على فعول (بضم الفاء) دائما ، بشرط ان لا يكون معتل العين مثل حوت ، ولا معتل اللام مثل مدي (بضم فسكون) وهو نوع من المكاييل ، ولا مضعف اللام مثل مد (بضم الميم) .

ولما كان الجهد او الجهد (بضم الجيم وفتحها) لا يبذلهما دائما شخص واحد ، بل يأتيان من مصادر مختلفة القوة والنوع والحماسة .

ولما كان مصدر الطاقة المبذولة (الجهد) واحدا . او لو فرضنا انه كذلك ، فان هذا الواحد لا بد له من ان يختلف ، من حيث قوته ، وتأثيره ، في كل مرة عن المرات التي سبقتها ، والتي ستليها ، مما يشكل مجموعات متباينة من الطاقات ، يتيح لنا المنطق ان نجمعها لانها قوية ، وذات تأثير فعال .

لــذا اقترح على مجامعنا الاربعة في مصر ودمشق وبغداد وعمان ، ان تقرر ابراز هذا الجمع (الجهود) ، في جميع الطبعات المقبلة من معجماتنا الرائدة ، مع موافقة مجمعية يستند اليها الادباء والنقاد قاطبة .

جهر بالقول وأجهر به

ويخطئون من يقول : اجهر بالقول (اي اعلنه) ، ويقولون ان الصواب هو : جهر (بفتح الهاء) بالقول ، اعتمادا على قوله تعالى في الآية السابعة من سورة طه . وقد وردت جملة (جهر بالقول) ثلاث مرات اخرى في آي الذكر الحكيم، وجملة (لا تجهر بصلاتك) مرة واحدة .

ويعتمدون ايضا في تصويب جملة (جهر بالقول) على معجم الفاظ القرآن الكريم ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغـة ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والاساس ، والمختار .

ولكـن :

يجيز لنا قول جملتي : جهر بالقول واجهر به كلتيهما كل من ادب الكاتب في ابنية الافعال ، وابن الاثير في النهاية ، والصاغاني ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط.

وهنالك : جهـر الكلام واجهره (اي : اعلنه) : اللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

اما جهر الشيء فمعناه : ظهر (الاساس ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط) .

واكتفى الصحاح ، والاساس ، والمختار بالاتيـان بالفعل الرباعي (أجهر) متعديا .

وفعله : جهر (بفتح الهاء) يجهر (بفتحها) جهرا (بتسكينها) ، وجهارا (بكسر الجيم) .

الجهـاز (بكسر الجيم وفتحها)

ويخطئون من يقول : جهاز (بفتح الجيم) العروس نفيس ، ويقولون ان الصواب هو : جهاز (بكسر الجيم) العروس نفيس .

ولكـن :

كلتا الكلمتين صحيحة ، وتطلقان على ما يأتي :

(أ) جهاز (بكسر الجيم وفتحها) كل شيء : ما يحتاج اليه . يقال : جهاز (بكسر الجيم وفتحها) العروس ، والمسافر ، والجيش ، والميت .

(ب) في الحيوان : ما يؤدي من اعضائه غرضا حيويا خاصا . يقال : جهاز التنفس وجهاز الهضم (بكسر الجيم وفتحها) .

(ج) الجهاز (بكسر الجيم وفتحها) : الاداة تؤدي عملا معينا . يقال : جهاز التقطير ، وجهاز التبخير .

(د) اطلق مجمع اللغة العربية بالقاهرة كلمة الجهاز (بكسر الجيم وفتحها) على الطائفة من الناس تؤدي عملا دقيقا .

يقال : جهاز الدعاية ، وجهاز الجاسوسية .

ويجمع الجهاز على اجهزة (بفتح فسكون فكسر) .

كانت الجياد من نسل عربي اصيل
او كان الجياد كلهم من نسل عربي اصيل

ويخطئون من يجري ما لا يعقل ولا يفهم من الحيوان مجرى بني آدم ، ويقول : كان الجياد كلهم من نسل عربي اصيل ، ويرون ان الصواب هو : كانت الجياد كلها من نسل عربي اصيل .

والحقيقة هي ان الجملتين كلتيهما صحيحتان ، كما جاء في الآية ١٨ من سورة النمل ، والآية ٤٥ من سورة النور . ومن سنن العرب تغليب ما يعقل كما يغلب المذكر على المؤنث اذا اجتمعا .

لبس جوربه او جوربيه

ويخطئون من يقول : لبس جوربيه (بفتح فسكون) ، ويقولون ان الصواب هو : لبس جوربه ، اعتمادا على قول محيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

ولكن ابن السكيت ، واللسان ، والتاج ، والمد ، واقرب الموارد يجيزون لنا ان نقول : لبس جوربه او جوربيه .

والجورب مأخوذ عن الفارسية (كورب) ، واصله كور با (قبر القدم) .

وجمعه : جواربة وجوارب (بفتح الجيم فيهما) : الصحاح ، والاساس ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

ويجيز لنا قول : تجورب (لبس الجورب) كل من ابن السكيت ، والصحاح ، والتاج ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

ويقول اللسان والتاج : جوربه فتجورب : البسه الجورب .

ونجد الجورب في مادة (ج ر ب) في الصحاح ، والاساس ، واللسان ، والتاج ، والمد ، واقرب الموارد ، والمتن .

ولكن محيط المحيط والوسيط شذا عن المعاجم الاخرى ، ووضعا الجورب في مادة (ج و ر ب) .

الجوعان (بفتح فسكون)

ويخطىء الصاغاني في كتاب « الذيل والصلة » ، والخفاجي في « شفاء الغليل » من يقول : هو جائع وجيعان (بفتح فسكون) ، ويقولان ان الصواب هو : جوعان (بفتح فسكون) . وقد عثرا حين خطأا من يقول : جائع ، لان جميع المعجمات تذكر اسم الفاعل هذا ، ولان اسم الفاعل يصاغ من الثلاثي السالم على وزن (فاعل) ، ومن الاجوف على وزن (فائل) .

واصابا حين خطأا من يقول : جيعان (بفتح فسكون) ، وحذا التاج والمد حذوهما . والصواب هو الجوعان (بفتح فسكون) ، كما قالا ، وقال المتنبي في قصيدته الشهيرة التي هجا بها كافورا :

جوعان يأكل من زادي ، ويمسكني   لكي يقال : عظيم القدر مقصود

وذكر الجوعان ايضا : الراغب الاصفهاني في مفرداته، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وفعله : جاع يجوع جوعا (بفتح فسكون) ، او جوعا (بضم الجيم) في نسختين مخطوطتين من الصحاح ، او مجاعة ، او جوعة (بفتح فسكون) ، فهو جائع وجوعان (بفتح فسكون) ، وهي جائعة وجوعى ، وهم وهن كما جاء في اللسان : جوعى (بضم فسكون) ، وجياع كما قال القطامي :

كان نسوع رحلي حين ضمت   حوالب غرزا ، ومعى جياعا

وجوع (بضم فتضعيف) كما قال الحادرة قطبة بن الحصين الغطفاني :

ومجيش تغلي المراجل تحته   عجلت طبخته لرهط جوع

وجيع (بضم فتضعيف) . وزاد المصباح والمتن : جياعى (بفتح الجيم والعين) .

وجاء في القاموس ، في مادة (سوع) ان الجائع يجمع على : جاعة . وهو جمع قياسي ، وان لم تذكره المعجمات ، لان الجمع فعلة (بفتح ففتح) مقيس في كل وصف على وزن (فاعل) ، لمذكر ، عاقل ، صحيح اللام ، نحو : كامل وكملة، وكاتب وكتبة ، وجائع وجوعة ، وبائع وبيعة .

وحين تتحرك الواو والياء ، ويفتح ما قبلهما تقلبان الفا ، فتصبح الجوعة (بفتح ففتح) ، جاعة ، والبيعة (بفتح ففتح) : باعة .

ويجوز — طبعا — ان نجمع الجائع ايضا على : جائعين ، والجائعة على جائعات .

ويجيز بنو اسد تأنيث فعلان (بفتح فسكون) على فعلانة ، مما يسمح لنا بأن نقول : هي جوعانة ايضا .

بيروت — شارع الجامعة العربية
بناية الاسكندراني رقم ٣
محمد العدناني

عيد الفن

*

احلى الطيور حمامة وكناري ... وأرق لحن أنه القيثار
أرأيت روضا ضاحكا الا اذا ... غنت بلابله على الاشجار
القفر في عيني ازهى منظرا ... من روضة تخلو من الاطيار
والنار احلى موردا من جنة ... لا تزدهي بعجائب الاوتار
يا من يلوم على البشاشة شاعرا ... أرأيت فنانا أليف وقار
العبقرية لا تدين بمنطق ... هي فوق ما نجلوه من اسرار
لم يجر فنان على سنن الورى ... الا كبا في اول المضمار
ليس العبوس ، كما زعمت ، فضيلة ... كلا ، ولا ألق الوجوه بعار
ايقاس ليل قاتم محلولك ... بضحى يموج بضاحك الانوار
ما العمر الا ساعتين فلا تكن ... عبئا على الاسماع والابصار
متع شبابك بالمحاسن واجن من ... كرم الحياة يوانع الاثمار
لم يخلق الله الازاهر والربى ... عبثا ... اتعرض عن عطايا الباري
لو شاء ان تحيا شقيا عابسا ... خلق البسيطة شعلة من نار

يا من تنادينا الى تكريمهم ... العيد عيدي والمزار مزاري
جمعت صلات الفن بين قلوبنا ... ووشائج الآمال والاوطار
فاذا بكيت فدمعكم في مقلتي ... واذا شدوت فصوتكم مزماري
ورحى بني امي لانتم مفزعي ... في النائبات وانتم اظفاري
الغوطة الخضراء مهد طفولتي ... والارز في شرع المحبة داري
وزعت بين الجنتين صبابتي ... ونثرت في حرميهما ازهاري
ليت الذين تجاهلوني ادركوا ... اني وقفت عليهم اشعاري
احببتهم ملء الفؤاد ولم ازل ... ارنو لهم بالحب والاكبار
في ظلهم نبتت خوافي شهرتي ... وزها جناحي واستطار غباري
بالامس باريت الورى بسخائهم ... واليوم أهتف باسمهم وأباري
تأبى علي مروءة عربية ... ان اجحد المعروف في الاحرار
انا من يغض الطرف عن جبل الاذى ... ويرى حصاة الفضل بالمنظار
الحب ديني والوفاء شريعتي ... فليستجب غيري لداعي الثار
لم ادفع العمل القبيح بمثله ... الا شعرت بخستي وصفاري

يا من اقمتم للفضيلة والندى ... عرسا يموج بقبلتي آذار
ان قصرت عن شكركم اقلامنا ... وبدت عليها لكنة المحتار
فقلوبنا ابدا ترفرف حولكم ... وعيوننا خلف القلوب جوار
في كل جارحة بنينا هيكلا ... لكم .. ونمنما حديقة غار

بوانس ايرس — الارجنتين ... زكي قنصل



الدكتور يوسف عز الدين



من هو رائد الشعر الحر

بقلم عبد الامير مهدي حبيب

* * *

لا اريد في مقالتي هذه ان اذكو جذوة الصراع مجددا بين انصار الشعر العمودي وانصار الشعر الحر ولا اريد ان ابارك لأنصار الشعر الحر ثباتهم بثقة امام العموديين في جولاتهم المستمرة والتي ما زال لظى رحاها على شاشة التلفزيون او في احضان الندوات الادبية او التي الفنا صليل سيوفها عبر الاثير فقد كثر الخائضون في هذا الباب واشبعوه او كادوا حيث ارى انه لا بد لكل ولادة جديدة فكرية او عاطفية منجدال ونقاش وكر، كي يستطيع الوليد الجديد ان يلبس ثوبه اللائق به والذي غالبا ما يعاد نسجه بين آونة واخرى ليتبلور على الصورة التي تضمن له العيش الرغيد في المستقبل ويستقر هيكله سليما بعيدا عن كل ما يعكر صفو عيشه او يسطو على ما كنز له انصاره من حقائق ثابتة راسخة متينة الاركان تمكنه من الوقوف على قدميه طاردا كل ما يضعف نموه ويعيق ازدهاره .

والذي اريده ان الباحث المتتبع لتاريخ ادبنا العربي في عصرنا الحديث لا بد ان توقفه بعض التأملات عندما يحاول ان يرسم بريشته بعض الحقائق عن الشعر الحر لان الحركة الجديدة لا تقل ان لم تزد اهمية عن الحركات التي سبقتها كالموشحات الاندلسية والبند والشعر المرسل لكونها احداثا جديدة زاحمت تكوين الشعر العربي التقليدي الذي طبعت عليه نفس الشاعر العربي . حقيقة لا بد من معرفتها وتدوينها في عصر نمو هذا اللون من الشعر هذه الحقيقة التي ستظل اقلام الباحثين تتأمل بسكون وتقف شاخصة عند الاقتراب منها او محاولة نبش جوهر فحواها ومحتواها هذا السؤال الذي سيبقى يلح في طلب الجواب عليه من هــو رائد الشعر الحر في العراق او في البلاد العربية ؟ ومن هو اول مكتشف او مخترع له ان صح هذا التعبير ؟ وما هي اول قصيدة حرة الوزن تفتحت براعمها في اجواء الشعر العمودي فتصارعت مع قوافيه وسبحت في بحوره راقصة بلا انتظام لان عصرنا هذا عصر التسجيل والتدوين لاعصر الحفظ والنقل عن طريق الرواية والسماع كما كان يفعل اجدادنا الاولون في تدوين عواطفهم وافكارهم وايامهم .

والذي لمسته او كدت المسه ان دور ال ــ انا . وال ــ هو قد برز جليا وظهر واضحا لكل راء ومتفحص عند الاجابة على من هو رائد الشعر الحر في العراق حيث كثر الرواد له ونشرت الملابسات اجنحتها عليه شأنه شأن كل حركة فنيــة او عاطفية لان وسيلة اللمس والبدء في العواطف والاحاسيس تكاد تكون واهنة الحدود ان لم تكن معدومتها .

والآن لا بد لنا ان تحوم حول فطاحل الشعراء الذين اجادوا في نظم الشعر الحر ولندع الشاعرة الكبيرة السيدة نازك الملائكة تطــرح رأيها في منشأ الشعر الحر ورائده (كانت بداية حركة الشعر الحر سنة ١٩٤٧ في العراق ومن العراق بل من بغداد زحفت هذه الحركة وامتدت حتى غمرت الوطن العربي كله)(١) وقولها (وكانت اول قصيدة حرة الوزن تنشر قصيدتي المعنونة الكوليرا)(٢) واشارت بأنها نظمتها عــام ١٩٤٧ وارسلتها الى بيروت ونشرت ووصلت الى بغداد في نفس السنة وقالت بانها وصفت فيها وباء الكوليرا الذي اجتاح مصر وقد ساقتها ضرورة التعبير الى اكتشاف الشعر الحر ثم اشارت الشاعرة الملائكة الى صدور ديوان ازهار ذابلة(٣) للشاعر المرحوم بدر شاكر السياب الذي حوى بين صفحاته قصيدة من الشعر الحر ــ والذي اصدر في نفس السنة والذي اعقبه صدور ديوان الشاعر عبــد الوهاب البياتي سنــة ١٩٥٠ (ملائكــة وشياطين)(٤) وفيه قصائد حرة الوزن .

اذا يستنتج الدارس ان الملائكة ترى انهــا رائدة الشعر الحر وانها اول من نظمت فيه حيث ذكرت بأن قصيدتها الكوليرا هي اول قصيدة تمشي في درب الشعر الحر وان العراق اول قطر عربي زحف منه هذا اللون من الشعر .

طلع الفجر(٥)
اصغ الى وقع خطى الماشين
في صمت الفجر ، اصغ ، انظر ركب الباكين
عشرة اموات ، عشرونا
لا تحصى ، اصغ للباكينا
موتى موتى ضاع العدد
موتى ، موتى ، لم يبق غد

ولنعد الى المرحوم بدر شاكر السياب الذي تغنى بالشعر الحر ردحا من الزمن حيث يرى الاستاذ عبد الجبار البصري بأن قيادة الشعر الحر كانت بيد السياب وان السياب هو الرائد الاول له والمربي والمنظم للوليد الجديد (هذا هو الشعر الحر من حيث الوزن والقافية ويعتبر السياب الرائد الاول له ومقرر اسلوبه ونظرياته)(٦) ولنقلب صفحات من ديوان صغير لشاعر هجر الشعر بعد ان اطاعته قوافيه صاغرة وركعت بحوره هاوية هـو ديوان لهاث الحياة للشاعر الدكتور يوسف عز الدين فاننا سنجد قصيدة حرة الوزن نظمها الشاعر بتاريخ ١٩٤٣/١٠/٢٨ :

غمغمة لحن(٧)
انـا ....
في انغام شعري
شقيت نفسي
وعمـــري
من رضاب الدهر اسقي
شجن العيش المر
انا ريان ولكن
من اسى خمري دهري

وعدت اقلب حروف القصيدة والفاظها متسائــلا والحيرة تأخذ مني مأخذها اذن لماذا لم يدون هذه القصيدة الدكتور يوسف عز الدين في كتابه (في الادب العربي بحوث ومقالات) الكتاب الذي سد الفراغ الذي كان يجده الباحث الادبي في العصر الحديث حيث لا يمكن ان يستغني عنه كل طالب ادب وعلم لانه سجل خالد حوت بحوثه مواضيع جمـــة الفائدة . وتتكشف ناحية اخرى هي ان الدكتور يوسف عز الدين كان قد نظم في الشعر الحر قبل الشعراء الذين اشتهروا به كالملائكة والسياب والبياتي . وهنا يقف سؤال لا بد من طرحه وهو هل ان القصيدة قد نظمت بهذا التاريخ وبقيت نائمة على صفحة الورقة البيضاء ام انها نشرت ؟ هذا ما لا يعلمه الا الشاعر نفسه . والقصيدة كان لا بد من الاشارة اليها على اعتبارها حدثا جديدا في الادب العربي .

ومع ان الدكتور يوسف قد ارجع تاريخ نظم الشعر الحر الى سنة ١٩١١(٨) ولكنه يرى بأن اكتمال التطور لم يصل ذروته وانه يرى (ان الزهاوي اول من دعا الى هذا الشعر)(٩) وهذا راي جديد بالنسبة الى نشأة الشعر الحر وقد يكون الدكتور الفاضل مصيبا في رايه على ما عرف عن الزهاوي من ميل في اسلوبه الى النثر من حيث المعنى وخلو كثير من قصائده من الرنة الموسيقية والايقاع المتين الذي يكسب القصيدة قوة وحيوية .

ثم استطاع الدكتور يوسف عز الدين ان يدون لنا نصوصا لهذا اللون من الشعر سواء اكانت من العراق ام من البلاد العربية(١٠) . ولكنني لا اتفق معه فيما يراه (الثورة الجديدة ارادت ان تتخلص من الشكل والمضمون العربيين القديمين)(١١) والذي اظنه واميل اليه انه يمكن للشاعر ان يتخلص من الشكل حينما ينظم في الشعر الحر او المرسل او البند او اي لون جديد يختاره اما انه يتخلص من المضمون ، فلا . اذ كيف يتم له ذلك ؟ هل يأتي بمعان طابعهـا اجنبي ؟ ام انـه يرسـم صـورة بعيـدة عــن مجتمعــه ؟ مــع علمنــا بــأن الشاعــر مــرآة المجتمع وانه نبتة نامية من نباته وحفنة تراب من ترابه اذا كان صادق الشعور والاحساس ، وهل ان التجارب الانسانية قد وضعت بينها الحواجز جزافا ؟ فالبكاء بكاء والفرح فرح كلها عواطف انسانية ترد عند كل الناس .

ولا يفوتنا مـا يراه الدكتور صفاء خلوصي مـن (ان الشعر الحر بضاعة اوربية والفضل الاول في الدعوة اليه لشعراء المهجر فليس هو باختراع جديد في دنيا الشعر العربي واشك كثيرا في دوامه وازدهاره)(١٢) واغلب الظن ان الشعر الحر هو بضاعة اجنبية وصلنا كما وصلنا الشعر التمثيلي ولكن الشعر التمثيلي قل الناظمون فيه لصعوبة قيادته من قبل الناشئين ولهذا لم ينم كما نما الشعر الحر ولم تستمر الضجة حوله لابتعاد من هب ودب عنه .

اما الشعر الحر فقد كثر الناظمون فيه من الشباب لاستطاعتهم مضغ واجترار اسلوبه ولهذا كثر الخلط بين جيده وركيكه ، وتهجم معظم الشعراء والادباء على هذا اللون من الشعر الذي لا بد للايام الآتية من تحديد عيشه او موته .

واخيرا من هو اول من نظم الشعر هل الدكتور يوسف عز الدين ؟ ام الزهاوي ؟(١٣) .

---

(١) ـ قضايا الشعر المعاصر ص ٢٢ (بغداد ط ٢) مطبعة دار التضامن ١٩٦٧ . (٢) ـ نفس المصدر ص ٢٣ . (٣) ـ قضايا الشعر المعاصر ص ٢٤ . (٤) ـ نفس المصدر ص ٢٥ . (٥) ـ نفس المصدر ص ٢٤ . (٦) ـ بدر شاكر السياب رائد الشعر الحر ـ عبد الجبار البصري ص ٥٢ بغداد ١٩٦٦ . (٧) ـ لهاث الحياة ص ٧٥ . (٨) ـ في الادب العربي بحوث ومقالات ص ٢٣٥ بغداد ١٩٦٧ وفيه مقال طويل عن الشعر الحـر في العـراق . (٩) ـ المصدر السابـق ص ٢٣٧ . (١٠) ـ نفس المصدر ص ٢٥٠ ـ ٢٧٤ . (١١) ـ نفس المصدر ص ٢٨٢ (١٢) ـ فن التقطيع الشعري صفاء خلوصي ص ٤١٢ ط ٣ بيروت ١٩٦٦ . (١٣) ـ سبق ان نشرت الاديب الغراء مقالا للمرحوم الشاعر صالح جودت عن الدكتور يوسف عز الدين وتطرق فيه الى هذه الريادة .

جامعة السليمانية ـ العراق عبد الامير مهدي حبيب

تحقيقات عرضيـة

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

* * *

(١)

مدخل الى الادب – تأليف اميل فوجيه ، ترجمه مصطفى ماهر ، راجعه مصطفى فوده ، القاهرة ، سلسلة الالف كتاب باشراف ادارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم بمصر ، ملتزم الطبع والنشر لجنة البيان العربي ١٩٥٨ .

١ – العنوان الاصلي Initiation littéraire يعني : توجيه ادبي – ولا بأس بالترجمة التـي ثبتها المترجم للعنوان .

٢ – كتب اسم المؤلف اميل بكسر الالف والصحيح فتحها ، وكتب فوجيه وفيه اكثر من خطأ فلا موجب لكتابة الجيم بثلاث نقاط لانه كاف فارسية او جيم مصرية ، ولا موجب للياء لعدم وجود ما يقابلها في الاصل . ولو اننا اردنا ان نرجع لفظ المترجم الـى الاصل الفرنسي لجاء Fojier او Faujier او Fogier ... وهـذا غـير صحيح لان الاصل Faguet فهو فاكه (بالكاف الفارسية) او فاجه بالجيم المصرية ولا يمكن ان يكون فاجيه بأية حال من الاحوال .

٣ – كتب المراجع كلمة تقديم جاء فيها تحت اسم المؤلف ١٨٥٧ – ١٩١٦ وهو خطـأ مطبعي صحيحـه ١٨٤٧ – ١٩١٦ .

٤ – اثنى المراجع على المؤلف بما هو اهله ، ولكنه قال : « وقد عالج في اخريات ايامه الموضوعات التي طرقت الاذهان وشغلت العقول في زمانـه : مذهب الاحرار ، الاشتراكية ، مذهب السلام ، الحركة النسائية الخ ... ونشر ايضا في مجموعة « الداخل » هذا « المدخل الى الادب » الذي اختاره الاديب الشاب مصطفى ماهر لينقله الى العربية . وهو اختيار موفق ولا شك ... » .

أ – ويمكن ان يفهم من هذا الكلام ان « المدخل الى الادب ، مما عالجه المؤلف في اخريات ايامه ... » وهذا غير صحيح لان المعروف انه من اعمال المؤلف الاولى ، ولك ان ترده الى عمل الشباب . ولا يصعب ذلك كثيرا ، فقد ذكر المترجم في اكثر من حاشية ان فاكه الف « المدخل » سنة ١٩١٣ . واذا طرحنا من هذا التاريخ تاريخ الميلاد يكون الناتج (٣٤) هو عمر فاكه عند التاليف ، ولا يمكن ان يكون ذلك من اخريات ايامه لانه عاش (٦٩) عاما .

ب – لم يكن اختيار الاديب الشاب ... موفقا ، لان الكتابليس بذي قيمة ، وهو غير معدود في بابه وفي مؤلفات فاكه نفسه ... وكان المفروض بالمراجع ان يكون صريحا ، وبادارة الثقافة ان تكون عارفة ...

٥ – ص ٨ الثلمود : التلمود .

٦ – ص ١٠ « وكان العلماء في بدء القرن التاسع عشر يظنون ان هوميروس لم يوجد قط ، ولكنهم يعودون الآن الى الاعتقاد بأنه لا يوجد سوى هوميروسان : احدهما مؤلف الالياذة والآخر مؤلف الاوديسا » .

أ – لم يكن ذلك اجماعا .

ب – سوى هوميروسان : سوى هوميروسين .

٧ – ص ١٦ « مؤلفوا التراجيديات » : مؤلفـو التراجيديات .

ص ٤٧ « معلموا البلاغة » : معلمو البلاغة .

ص ٧٨ « فياضوا الكلمة » : فياضو الكلمة .

٨ – ص ١٧ « ارسطوفان الذي بقيت لنا مؤلفاته » : بقيت لنا منه مؤلفات ، لان مؤلفاته لم تصل الينا كلها . لقد الف نحوا من اربعين مسرحية وصل الينا منها احدى عشرة .

٩ – ص ١٩ « هيبوقراط ... انشا الطب » : الكتابة العربية أبو قراط أو ابقراط أو بقراط ولم يرد يوما مبدوءا بالهـاء .

١٠ – ص ٢١ « أرسطو ... اهم مؤلفات ارسطو هي ... « البلاغة » ، « الشعر » : الصحيح « فـن الخطابة » ، « فن الشعر » ...

١١ – ص ٣٢ « مات جوليان صغيرا ولعله لو قد عاش لاصبح من عظماء الرجال » : لا وجه لقد هنا ، فهي تفيد التحقيق في الوقت الذي يقوم الكلام على « لو » .

١٢ – ص ٦٧ « الكوميديا الالهية ... ثلاثة اجزاء : الجحيم والمطهر والسماء » : المألوف الذي يتبناه المترجمون الثقات : الفردوس .

١٣ – ص ٨١ « كان جيه وبلزاك ... اطفى على الجملة الفرنسية ... انسجاما » : كان كـي وبالزاك (كـي بالكاف الفارسية) ... اضفـى ... وهـو بالفرنسية ... Guez

١٤ – ص ٩٧ « وينبغى الا ننس ان في العصر نيوتن ولوك اللذان يدخلان اولهما في تاريخ العلوم وثانيهما في

تاريخ الفلسفة وانما نشير اليهما لان كلاهما كان يجيد الكتابة ... » ــ وتكررت ص ١٠٩ .

الصحيح : ... الا ننسى ... اللذين ... لان كليهما ...

١٥ ــ ص ١٢١ « اشهـر الشعراء الملحميـون هم ... » : ... الملحميين .

١٦ ــ ص ١٢٨ « الهزيادة ... التي انشأها فولتير في الجزء الاول مـن القرن الثالث عشر » : الصحيح : الثامن عشر .

١٧ ــ ص ١٧٤ « لومونوف. ويعتبرون لوومونوزوف الاب الحقيقي للادب الروسي » : هو بالحرف اللاتيني كما يكتبه الفرنسيون : Lomonossov لومونوسوف .

١٨ ــ ص ٢٢ « لانهمـا كانا ذا اثـر كبير » : كانا ذوي .

١٩ ــ ص ٧٨ « لم يعيش ... » : لم يعش .

٢٠ ــ ص ١٢٧ « لخص الياذة هومير في اثني عشر انشودة » . الصحيح : « في اثنتي عشرة انشودة » .

٢١ ــ ص ١٧ « اعظم مؤلفات اسخيل هي ... بروميتيه المغلولة » . الصحيح : المغلول او مغلولا ...

٢٢ ــ ص ٤٠ ، ٤١ يكتب « سيسيرو » والمعتاد ان نكتبه « شيشرون » . ص ١٣٧ يكتب هللينية والصحيح هلينية (بتشديد اللام) ، ويكتب ص ١٤٤ مريميه وهو مريمه . ص ١٥٢ شيرانو : سيرانو .

٢٣ ــ والخطأ المطبعي كثير منه :

ص ١٥ فقلـد : فقلده ، الحزرون : الحذرون .
ص ١٧ ايزبيد : ايربيد . ص ٢٢ ماكز : مراكز . ص ٢٥ حلف : خلف . ص ٢٨ سير كبير الرومان والاغريق : سير كبار . ص ٥٤ اقل متاعا : اقل امتاعا . ص ١٣٧ راسيف : راسين . ص ١٤٥ معصر : العصر . ص ١٤٨ واقعته : واقعية . ص ١٤٢ « تيبري الـذي استحيا الازمـات الميروفنجية » : الازمان الميروفنجية . ص ١٤٦ فرانسوا كوبيه : فرانسوا كوبه . ص ١٨ « الصفادع » : الضفادع .
ص ٢٨ خطوة : حظوة . ص ٣٤ بوردالود : بوردالو .
ص ١٨ ميناتدر : ميناندر . ص ٤٤ اصفى : اضفى .
ص ٥٨ جربيان : اجربيان . ص ٩٢ الجنوب : الجنون .
ص ١٤٣ انوربه : انوريه . ص ١٤٩ خطى : حظي .
ص ١٥٢ لاقيس : لافيس .

٢٤ ــ خطورة الخطأ ــ من اي نوع ــ في هـذا الكتاب انه صادر من جهة رسمية محل ثقة ، وانه مما يقرؤه المبتدئون .

(٢)

معنى الواقعية المعاصرة ــ تأليف جورج لوكاتش ــ ترجمة دكتور امين العيوطي ــ القاهرة ، دار المعارف (دراسات في الآداب الاجنبية) ١٩٧١ .

١ ــ لم يذكر المترجم اللغة التي ترجم عنها الكتاب . لقد المح في المقدمة الى اللغة الالمانية ، ولكن كلمات في النص يمكن ان تشير الى انه ترجمه عن الانكليزية .

٢ ــ وردت جورج بالجيم الفارسية اي الجيم بثلاث نقاط ، وهذا غير صحيح ، وقد اشرت ــ وسأشير ــ مرارا الى ان المصريين يتبنون ذلك مجاملة للهجتهم العامية ، وهذا غير صحيح .

ومثل جويس ، جيمس ، جيد .

٣ ــ ص ١٦ « انه اختلاف ملفت للنظر » ــ وتنظر ص ٥٧ . الصحيح : لافت ، لان الماضي لفت ثلاثي ...

٤ ــ ص ٢٠ « التعليم العاطفي لفلوبير » ، وتتكرر ، والترجمة غير صحيحة ، لان الصحيح ان نقول « التربية العاطفية لفلوبير » ، والتعليم غير التربية . ورواية فلوبير هذه مترجمة الى العربية بعنوان سليم هـو « التربية العاطفية » .

٥ ــ ص ٢٧ « وفي حديث له حدد ميوسيل فترة روايته ... » .

تركيب الجملة غير سليم ، والصحيح ان يكون : حدد ميوسل في حديث له ، فترة روايته ...

٦ ــ ص ٥١ : « وفي هذه الرؤية يبدو التاريخ لا على انه التحقيق التدريجي للخلود ، ولكن على انه عملية تحلل حتمي » .

تركيب غير سليم ، ويمكن ان يكون هذا : « وفي هذه الرؤية يبدو التاريخ عملية تحلـل حتمي وليس تحقيقا تدريجيا للخلود » .

٧ ــ ص ٥١ : « ... الكتاب الرومانسيون ... عبروا عن فهمهم لا تعبيرا نظريا فحسب ، ولكن تعبيرا فنيا ايضا » .

تركيب غير سليم ، يمكن ان يكون صحيحه هكذا : « ... عبروا عن فهمهم تعبيرا نظريا وفنيا » او « ... لم يعبروا عن فهمهم تعبيرا نظريا فقط ، وانما (عبروا) تعبيرا فنيا ايضا (او كذلك) » .

٨ ــ ص ١٣٩ « ولا يجب ان ننتظر من الكاتب ... » ــ ويجب الا ننتظر من الكاتب .

٩ ــ ص ١٤٠ « حتى أن » ــ بفتح الهمزة : الصحيح بكسرها .

١٠ — ص ١٨٥ « انسن » : خطأ مطبعي ، صحيحه معروف : ابسن .

١١ — ص ٢٠٦ « كانت مدام بوفاري اولى اعماله ... » .

الصحيح : ... اول اعماله — وتنظر ص ٢١٢ .

١٢ — ص ٢١٠ « لورانس ... من اعظم الروائيين الانجليز على الاطلاق » .

التعبير غير منسجم ، فاما ان نقول « لورنس ... اعظم الروائيين الانجليز على الاطلاق » او ان نقول « من اعظم الروائيين الانجليز » .

١٣ — ص ٢١٣ « فهو يؤمن ان الفن والادب يجب ان يسخران لخدمة الحياة » .

الصحيح : وهو معروف جدا : ان يسخرا .

(٣)

السريالية — تأليف ايف دوبلسيس ، ترجمة بهيج شعبان ، بيروت ، دار بيروت ١٩٥٦ .

١ — ص ١١ « وقد طرحت على الخصوص في مجلة « الآداب » ، وهو عنوان سحري لنشرة ضد الادب » .

أ — الآداب : ادب — لانها هكذا وردت في الاصل مفردة من غير ال وتنظر ص ١٢ .

ب — سحري : سخري او ساخر لان الاصل ironique ، وقد يرد الخطأ الى المطبعة .

٢ — ص ١٢ « لم يصل تزارا Tzara الى باريس الا في سنة ١٩١٦ ... » .

— الصحيح : ١٩١٩ — كما هو صريح في الاصل .

٣ — ص ٩ « ولم تكن حياته سوى تحريض دائم على جميع الاصطلاحات البورجوازية » ، ص ١٤ « وبيانات الداديين المدوية ، وشتائمهم المستمرة للمجتمع واحتقارهم للاصطلاحات ... » .

يترجم بالاصطلاحات كلمة Conventions ،والمناسب هنا ان نقول : الاعراف .

٤ — ص ١٥ « وتبع الفضيحة تمرد اسلوبي عما هو سريالي ... » .

يترجم بأسلوبي كلمة méthodique والمعقول ان نقول : منهجي .

٥ — ص ١٨ « ولكن جميع اعضاء السريالية السابقين قد دفنوه قبل الاوان ... » .

الصحيح : قد دفنوها . وسبب الخطأ ان الضمير يعود على السريالية ، و « السريالية » مذكر بالفرنسية .

٦ — ص ١٨ « فقد عاد لويس اراغون من مؤتمر خاركوف سنة ١٩٣٠ » .

الصحيح ١٩٣١ — كما هو صريح في الاصل .

٧ — ص ٤٤ « جونغ Jung » .

الصحيح « يونك » وقد الفته العربية هكذا ، وال J الالماني يلفظ ي ، وهو على رسم المترجم يونغ .

٨ — ص ٤٨ « عقليتنا المقوننه » يريد المقننة التي ضبطها القانون Codifiée

٩ — ص ٧ « وهو فريسة للتيهان في عالم اللانهاية » .

يترجم بالتيهان كلمة vertige والاولى ان يكون معناها : الدوار .

١٠ — ص ٨ « وقد وجه هذا الفيلسوف الانتباه ، قبل فرويد ، الى الاحلام ، وظاهرات التلبسي (الشعور مع الغير عن بعد) ... » .

يريد الـ télépathie وذكر الكلمة ص ٣٠ بحروفها الاجنبية .

١١ — ص ١٠ « وكان دادا Dada قبل الرسالة يملك جدارة ان لا يكتب شيئا » .

يترجم بـ «قبل الرسالة» avant la lettre والصحيح ان تكون « قبل الحرف » والاصح ان تكون قبل ان توجد حروف دادا ، والاحسن قبل ان توجد الكلمة ... والضمير في « يملك » لا يعود الى دادا وانما يعود الى جاك فاشه . يريد : ان جاك فاشه ، قبل ان توجد كلمة دادا (او حركتها) يملك جدارة ... الخ فهو دادي قبل ان توجد الدادائية .

١٢ — ص ٢٥ ، والضمير يعود على ماكس ارنست في كلام لأندره بريتون : « ليس هناك من شيء اكثر كمالا واكثر نموذجية من تلك الروايات الثلاث معا : ... » .

لا يوجد في الاصل مقابل لكلمة « تلك » وانما وجد «ses» قبل الروايات ، وعلى هذا تكون الترجمة « ... من رواياته الثلاث ... » .

١٣ — كثيرا ما ترد في النصوص العربية « فاء » قلقة ، من ذلك ص ٤٠ « وبين الامراض العقلية العديدة فان احدها ، البارانويا دال على الهدف » ، وص ٤٥ « ولكن المصاب ... فانه يستعمل » ، وص ١٤٦ « ولكنهم بدلا من ان يظلوا ... فقد رأوا ... » .

١٤ — جمع المترجم في هامش ص ٤٣ بين قد ولا فقال « قد لا يجد القارىء ... » .

١٥ — ص ١٥١ « كاموس Camus » — الصحيح ان كامو من غير « س » .

١٦ — ص ١٥٧ « ان البقاء في حالة التهيؤ ... هو الحظ الوحيد ... » .

ربما كان الاحسن ان نقول « ... هــو الفرصة الوحيدة ... » .

(٤)

في ١٥ نيسان (ابريل) ١٩٦٥ انتهى طبع كتاب لجان بول سارتر بعنوان : Les Mots اي الكلمات ، صدر عن دار « غاليمار »بباريس مقسما الى قسمين يشير اليهما بأرقام رومانية : I قراءة ، II كتابة .

نقله الــى العربية الدكتور خليل صابات بمراجعة الدكتور محمد مندور ، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، فبراير ١٩٦١ وقد حول الارقام الرومانية الى « القسم الاول » و « القسم الثاني » ...

وكانت قد صدرت ببيروت — قبل ذلك — ترجمــة للدكتور سهيــل ادريس بعنــوان « سيرتي الذاتيــة » ١ — الكلمات ١ — القراءة ٢ — الكتابة . دار الآداب ، كانون الثاني ١٩٦٤ . ومعنى هذا انها صدرت قبل الطبعة الفرنسية ، وهذا صحيح ، ويفهم من كلام على الغلاف الاخير لهذه الطبعة ان مشروع جان بول سارتر في الاصل اوسع مــن « الكلمات » والحديث عــن الطفولة او ان « الكلمات » جزء اول من كتاب ضخم . فقد جاء في ذلك :

« تفخر دار الآداب بأن تقدم هذه الترجمة ... وقد اشترت دار الآداب مــن دار غاليمار الفرنسية حقوق الترجمة العربية لهذا الكتاب ... وهذه الترجمة تصدر في بيروت قبل ان يصدر الكتاب بلغته الفرنسية الاصلية في باريس ...

ويروي سارتر في هذا الجزء من « سيرتي الذاتية » طفولته الاولى ... » .

يبــدو ان جان بول سارتر عدل عــن مشروعه « سيرتي الذاتية » واكتفى « بالكلمات » كتابا مستقلا .

(٥)

جان بول سارتر — ما هو الادب ؟ ترجمة جورج طرابيشي . بــيروت ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، الطبعة الاولى ، نيسان (ابريل) ١٩٦١ فيه : **مقدمة الازمنة الحديثة . ما هو الادب ؟ ما الكتابة ؟ لماذا نكتب ؟ لمن نكتب ؟**

وصدر عــن دار الآداب ببيروت لجان بول سارتر بعنوان صغير : مواقف ١ . وعنوان كبير : الادب الملتزم بترجمة جورج طرابيشي نفسه متضمنا الموضوعات الاربعة : ما هو الادب ؟ ما الكتابة ؟ لماذا نكتب ؟ لمن نكتب ؟ وموضوعا جديدا هو موقف الكاتب الملتزم عام ١٩٤٧ — كانت الطبعة الثانية التي صدرت عن دار الآداب سنة ١٩٦٧ .

وبود القارىء لو عرف في مقدمة صغيرة لهذه الطبعة الاسباب المؤدية اليها ، واسباب الخلاف والمترجم واحد .

وصدر الكتاب نفسه بمصر بعنوان : مــا الادب . ترجمة الدكتور محمد غنيمي هــلال ، القاهرة ، الانجلو ١٩٧١ ولم يشر الا خفيفا الى « ما هو الادب » البيروتي .

الخلاصة ان كتابــا واحدا يترجمه مترجم واحــد بعنوانين لدارين بيروتيتين ، ويترجمه مترجم آخر متفقا مع عنوان مختلفا مع آخر ...

فما السبب ؟ اذا تركنا عامل الفوضى وما اليها يبقى ان نذكر ان جان بول سارتر لم يضع عنوانا لكتابه ، وانما هو حلقة اولى من سلسلة تصدر بعنوان عام ، تحمل كل حلقة فيها رقما رومانيا . العنوان العام هو Situtaions التي ترجمناها بـ « مواقف » وقــد صدرت منها سبع حلقات ، وقد عزمت دار الآداب على ترجمة حلقات مواقف وسارت في المشروع ولكنها لم تلتزم بمنهج المؤلف وانما جعلت « مواقف » مرقمة ، عنوانا عاما ثم جعلت لكل حلقة عنوانا خاصا تكتبه بحرف كبير مواقف ١ — الادب الملتزم . مواقف ٢ — ادباء معاصرون . مواقف ٣ — جمهورية الصمت ... الخ .

(٦)

ستيفان تسفايج — بناة العالم (هولدرين ، دوستوييفسكي ، بلزاك) ترجمة محمد جديد (عن الالمانية) ، دمشق ، وزارة الثقافة ، ١٩٧٠ .

جاء على الغلاف الاخير : « هذه ثلاث دراسات للكاتب الالماني ستيفان زغايج ... » .

الصحيح ان الكاتب نمساوي (ولد في فينا سنة ١٨٨١ ويكتب في الاصل هكذا : Zweig) .

(٧)

اسطورة سيزيف ، البير كامو ، نقله الى العربية انيس زكي حسن ، بيروت ، دار مكتبة الحياة . د.ت.

ترجم الكتاب نفسه سالم نصار ، بيروت ، منشورات دار الاتحاد . د.ت. ، ولكنه جعل عنوانه « العبث » وهو تصرف مــن المترجم لان المؤلف اتخذ عنوان « اسطورة سيزيف » . وقد كتب المترجم في المقدمة « تنبيه » لم يذكر

فيه السبب الموجب – او غير الموجب – لهذا التصرف .

الترجمتان صدرتا دون ذكر لتاريخ صدور الترجمة العربية – وهذا نقص يتكرر لدينا ، زيادة على العيوب الاخرى !

(٨)

من الكتب التي نقلت الى العربية مرتين بعنوانين مختلفين ، قصة لمكسيم كوركي . الاولى : مكسيم جوركي – « في معترك الحياة » ، ترجمة دار الهنا . د.ت.

الثانية : مكسيم جوركي – « بين الناس » ، ترجمة ليان ديراني . دمشق ، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بسورية . سلسلة عيون الادب العالمي ١٥ (النسخة التي بين يدي غير مؤرخة) . « بين الناس » هي الصحيحة او الاصح .

ومن الملاحظات : ١ – ان هذه القصة هي الثانية في التسلسل الزمني من القصص التي يعرض فيها المؤلف اطرافا من حياته – لقد سبقتها « الطفولة » .

٢ – جاء في صدر الترجمة المصرية : « كلمة المترجم » بتوقيع : سعد توفيق. لماذا ؟ وقد كتب على الغلاف اسمان !

٣ – كتبت الترجمة السورية اسم كوركي بالجيم (الجيم ذات النقاط الثلاث) ولا موجب لذلك ويزيد الامر تعقيدا في الابتعاد عن الاصل . لقد كنا نضيق بالجيم المصرية (جوركي) والغين اللبنانية – السورية (غوركي) ونرجو ان نتبنى لفظا يقربنا الى الصحة مثل الكيم – الكاف الفارسية فجاءت الجيم ذات النقاط الثلاث في غير محلها .

(٩)

ومن الكتب التي نقلت الى العربية مرتين بعنوانين مختلفين مختارات من تولستوي عملها وقدم لها ستيفان تسفايج .

واحدة بعنوان « نصوص مختارة من تولستوي » ، تقديم ستيفان تسفايج ، ترجمه شكري محمد عياد ، راجعه علي ادهم ، القاهرة ، الادارة العامة للثقافة – وزارة التربية والتعليم – الاقليم الجنوبي ، سلسلة الالف كتاب (٢٨٦) ، مطابع دار القلم . د.ت.

وثانية بعنوان « ستيفان زفايج يقدم افكار تولستوي الحية » ترجمة احمد عصام الدين ، مراجعة عبد الرحيم سرور ، القاهرة ، مختارات الاذاعة والتلفزيون ، مذاهب وشخصيات ، د.ت.

من الملاحظات ، ان الترجمتين صدرتا دون تاريخ ، وهذا غير صحيح ، ولا سيما اذا كان الصدور عن جهات رسمية . وقد تكرر هذا الخطأ ، ويا حبذا لو تنبهنا جديا اليه . اننا لا نعرف – هنا – مثلا اي الترجمتين اسبق .

ومن الملاحظات ان ترجمة احمد عصام الدين التزمت بالعنوان الاصلي ، وتصرف الدكتور شكري عياد مع انه ثبت العنوان الاصلي (باللغة الانكليزية)
The Living Thoughts of Tolstoi
فما كان اجدره بالبقاء عنده .

ومن الملاحظات ان احمد عصام الدين لم يحتفظ في ترجمته بالمادة الاخيرة من الافكار الحية وقد وردت في ترجمة الدكتور عياد بعنوان «ما به حياة الناس» ص ١٤٣ – ١٨١، فاذا كانت هذه المادة في اصل كتاب تسفايج – وهو ما يبدو صحيحا – فلم لم يترجمها ؟ ولم لم يذكر السبب ؟ ثم ان وراءه كما ينص الكتاب في غلافيه مراجعا هو عبد الرحيم سرور . . . فمن الذي راجع المراجع في هذه الحال ؟ الاستاذ سرور لم يراجع الفصل الاخير ، والاستاذ ادهم لم يراجع العنوان ، فلم المراجعة ؟ وكيف ؟

(١٠)

ومن الكتب التي ترجمت بعنوانين مختلفين الكتاب الذي الفه بالفرنسية كارلوني وفيو بعنوان « النقد الادبي » ، ترجمه « جورج سعد يونس » باسم : « تطور النقد الادبي في العصر الحديث » ، صدر في بيروت عن دار مكتبة الحياة ١٩٦٣ ، وصدر بترجمة كيتي سالم ومراجعة جورج سالم باسم « النقد الادبي » في بيروت ، منشورات عويدات ١٩٧٣ . وهو العنوان الصحيح الدقيق . ويمكن ان يدل الفرق بين العنوانين على الفرق بين الترجمتين .

بقي ان الترجمتين سميتا احد المؤلفين فيللو ، والمعقول ان يكون فيو ، لانه ، Filloux – اما وجود اللامين في اللفظ العربي فهو خطأ لا غبار عليه .

وكان المفروض بالمؤلفين ان ينصا في عنوان كتابهما على انه « النقد الادبي في فرنسا » ، لانه لا يخرج عن هذا الاطار .

(١١)

ترجم محمد بدر الدين خليل عن الفرنسية اعترافات جان جاك روسو كاملة جاءت في خمسة اجزاء من مطبوعات كتابي ، القاهرة د.ت.

ثم صدر بعد ذلك كتاب اعترافات جان جاك روسو ترجمة محمد بدر الدين خليل ، القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ١٩٦١ وقد ذكر المترجم في مقدمته انه ينقل هذا الكتاب عن الانكليزية في ترجمة منقحة .

وعجيب ان ينقل عارف بالفرنسية كتابا فرنسيا عن الانكليزية ، سبق له ان ترجمه كاملا عن لغته الاصلية !

اما التنقيح فكان من الممكن — اذا رآه ضروريا — ان يقوم به هو في ضوء التنقيح الانكليزي ثم يباشر ترجمة النص عن اصله !! ولم هذه المباشرة الجديدة وقد سبق ان ترجم الاصل ، وما عليه الا ان يرجع الى ترجمته وينقحها في ضوء النص الانكليزي اذا لم يرد ان يحكم ذوقه وذوق القارئ العربي . لا اظن احدا قبلنا عمل هذا الذي عملناه ، فهل من سر لا ندركه ؟ لقد اطال المترجم في « تبرير » عمله دون ان يكون مقنعا .

(١٢)

فن السيرة الادبية — تأليف ليون ادل ، ترجمة صدقي خطاب ، القاهرة ، مؤسسة الحلبي (مع فرانكلين) ١٩٧٣ .

١ — ص ٣٧ « فهم يعتبرون ان كاتب السيرة صنو لشارلوك هولمز » : فهم يعتبرون — والاحسن يعدون — كاتب السيرة صنوا ...

٢ — ص ٤٢ « قد لا تكون ... » ص ٦٣ « وقد لا تعدو ... » : قد ولا ، لا يجتمعان ...

٣ — ص ٧٥ « عندما يتحدثون عن النص الادبي يستبدلونه بالسيرة وبالتاريخ الادبي » : ... يستبدلون به .

٤ — ص ٨٣ « سان بيف Sainte-Beuve » : سنت — بيف .

٥ — ص ١١٤ « مؤلفات فرويد وونج » : ... يونج .

٦ — ص ١٧٥ « دعونا الآن نرجع البصر في الطريق التي سرناها » : لا نقول : سرنا الطريق وانما نقول سرنا في الطريق ... والطريق التي قطعناها ...

٧ — ص ٨٨ « اسم كتاب اليوت الكامل فائدة الشعور وفائدة النقد » : الصحيح ، فائدة الشعر — وهو من الخطأ المطبعي .

٨ — ص ٧٩ «قصيدة لميلتون رثا فيها صديقه ...» : رثى .

٩ — ص ٦٨ « ان الكاتب ... ليس مضطرا لان يلقي لنا ... » : ... ليس مضطرا الى ...

١٠ — ص ٨٨ « اننا نستطيع احيانا ان ننفذ الى هذه الاعماق وننعم النظر فيها » : نمعن النظر .

ملاحظة عابرة : ان المؤسسة الامريكية التي تشارك في النشر هي هي في مصر ولبنان ، ولكن المطبوعات المصرية تكتبها فرانكلين ، والمطبوعات اللبنانية تحذف الالف وتكتبها فرنكلين .

(١٣)

مهمة الناقد بقلم وليام هازلت ، ترجمة نظمي خليل ، القاهرة ، المؤسسة العامة للانباء والنشر والتوزيع والطباعة ، مختارات الاذاعة والتلفزيون ، سلسلة « كتب ثقافية » ، العدد ١٤٣ ، د.ت.

اول ما يفهم من المعلومات الصريحة على غلافي هذا الكتاب انه عنوان لكتاب من مؤلفات هازلت او انه يتضمن — في الاقل — مقالا او بحثا له بعنوان « مهمة الناقد » — ولا يهم اختلاف رسم اسم المؤلف الانكليزي بين الغلافين فهو مرة وليام ومرة وليم .

تفتح الكتاب وتقرأ على الصفحة الاولى : هدف هذا الكتاب ، فتعرف ان الكتاب يضم فصولا منها الذي الفه نظمي خليل ومنها الذي ترجمه عن الانكليزية لهازلت ولغيره ، ولا ترى في هذه المعلومات ما يدل على ان « مهمة الناقد » لهازلت بل ان الكلام يدل على ان « مهمة الناقد » لنظمي خليل نفسه وليست لهازلت .

يبدا الفصل الاول من الكتاب بعنوان « مهمة الناقد » وتسير في قراءته فاذا هو كلام نظمي خليل مذيلا بقطعة مترجمة من مقال لأوسكار وايلد عن « الناقد كفنان » ، ولا رائحة في الفصل من هازلت .

والفصل الثاني والثالث والرابع والخامس لنظمي خليل نفسه .

ثم يأتي الفصل السادس فاذا به « الشعر » لوليم هازلت . انه لهازلت ولكنه عن « الشعر » وليس عن « مهمة الناقد » . يليه الفصل السابع « دفاع عن الشعر » لشلي . وينتهي الكتاب ص ١٠١ . وتسأل : ما دخل هازلت بمهمة الناقد ؟ وتجيب : لا شيء . وتسأل : لم جعلت مهمة الناقد في عنوان الكتاب منسوبة اليه ؟ وتجيب : لا ادري .

لقد كان جديرا بالمترجم ان يسيطر على فن التأليف ، وكان جديرا به كذلك ان يخبرنا انه ترجم مقالتي هازلت وشلي من زمن غير قريب . فقد ذكر الدكتور محمد يوسف نجم في الفصل الذي كتبه بعنوان « الفنون الادبية » من كتاب « الادب العربي في آثار الدارسين » ، بيروت ، دار العلم للملايين ١٩٦١ ص ٣٦٢ « وقد اسهم الجامعيون في تطوير الحركة النقدية ... اذ ترجموا عددا من كتب النقد الاوروبي منها : مقالة شللي (شلي) « الدفاع عن الشعر » ترجمة نظمي خليل (القاهرة ١٩٣٣) ومقالة هازلت في « الشعر » ترجمة نظمي خليل (القاهرة ١٩٣٤) ... » .

وهكذا يبدو المسوغ للعتاب على الفوضى التي ظهر عليها الكتاب . فالمترجم جامعي ، يعرف الانكليزية وليس مبتدئا ، والكتاب صادر عن جهة رسمية تقصد الى التثقيف .

الخلاصة : ان « مهمة الناقد » ليست لهازلت وانما هي لنظمي خليل . . .

(١٤)

من الكتب التي نشرت بعناوين مختلفين كتاب لكوركي نشر مرة بعنوان حياتي واخرى بعنوان طفولتي .

لقد قررت « دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بدمشق » ان تصدر ــ في الخمسينات ــ « سلسلة عيون الادب العالمي » وان تدخل ضمن هذه السلسلة « المؤلفات الكاملة لمكسيم جوركي » وشرعت في التنفيذ . وكان مما اصدرته له كتاب بعنوان «حياتي ــ السفر الاول» ترجمة فؤاد ايوب وسهيل ايوب يكون المجلد السابع من المؤلفات الكاملة ، والثاني والثلاثين من سلسلة عيون الادب العالمي ، وقد جاء في (١٩) فصلا بـ (٥٢٤) صفحة . د.ت.

لم اطلع على السفر الثاني . ولعله لم يصدر .

الذي اعرفه ان لا يوجد بين مؤلفات مكسيم كوركي الكثيرة كتاب بعنوان « حياتي » ، لقد الف الرجل كتبا (قصصا) تناول فيها مراحل من حياته : الطفولة ، بين الناس . . . جامعاتي . فهل كانت « دار اليقظة » تعتزم اصدار هذه القصص لهذه المراحل تحت عنوان عام هو : « حياتي » ؟ لو كانت ، لاشارت الى ذلك في مقدمة صغيرة او ملاحظة عابرة . ثم اننا نعلم انها نشرت « بين الناس » بترجمة ليليان ديراني ، فماذا سيتضمن السفر الثاني ؟

تقرأ في « حياتي » فتلاحظ ان مكسيم كوركي يتحدث عن طفولته منذ وفاة والده . . . اذن ، فهو كتاب «الطفولة» بعنوان جديد لم يضعه له مؤلفه .

وتتذكر ان « الطفولة » مترجم الى العربية . . . وها هوذا بعنوان « طفولتي » ترجمة سهيل ايوب المحامي ، بيروت دار القلم . . . الطبعة الاولى ١٩٦٧ ، الطبعة الثانية ١٩٦٨ ، الطبعة الثالثة ــ وهي التي بين يديك ــ ١٩٦٩ . ولا بأس ، فسهيل ايوب هناك وهنا . ولعله رجع الى الاصل في عنوان الكتاب ، فترك عنوان « حياتي » الى « طفولتي » ، لعله ، ولكن شيئا من هذا لم يرد في مقدمة او سطر من ملاحظة عابرة .

ثم تقابل . ان « طفولتي » هو هو « حياتي ــ السفر الاول » مع ملاحظة بارزة هي انه ينتهي بانتهاء الفصل الثالث عشر (ص ٢٧٢ مقابل ص ٣٦٠ من حياتي ، علما ان حرف حياتي اكبر من حرف طفولتي وان سطور صفحتها اقل) ولا يثبت الفصول الستة الاخيرة . انه يبدأ بوفاة والده وينتهي بوفاة والدته .

ولم تكن « طفولتي » نسخا حرفيا عن الفصول الثلاثة عشر من « حياتي » ، وانما اجرت تغييرات طفيفة كأن تستعيض عن كلمة بمرادفها وان تحول اسم الفاعل الى فعـــل . . .

تبدأ « حياتي » هكذا : « كان ابي مستلقيا على الارض تحت نافذة غرفة صغيرة عاتمة مزدحمة بالغبار ، يلوح لـــي طويلا بشكل يسترعي الانظار ويبعث علـــى الدهشة ، مكتسيا البياض من قمة راسه حتى اخمص قدميه » .

وتبدأ « طفولتي » هكذا : « كان والدي يستلقي على الارض . . . يبدو لي طويلا بشكل يلفت الانظار . . . وقد اكتسى البياض . . . » .

وينتهي الفصل الثالث عشر من « حياتي » هكذا : « بعد ايام قليلة من تشييع امي قال لي جدي :

ــ حسنا . . . فقد آن لك ان تخرج الى ما بين الناس . . . وهكذا خرجت الى ما بين الناس » .

وتنتهي « طفولتي » هكذا : « بعد ايام مـــن وفاة والدتي . . . وهكذا خرجت الى العالم » .

والحقيقة ان « الطفولة » تنتهي بانتهاء هذا الفصل الثالث عشر ، لان الفصل الرابع عشر من « حياتي » هو بدء للقصة الثانية التي عنوانها « بين الناس » .

(١٥)

أثر العرب في الحضارة الاوروبية ــ بقلم عباس محمود العقاد . القاهرة ، دار المعارف ١٩٤٦ .

ص ٦٧ ــ ٦٨ « وقد كان لألف ليلة وليلة بعد ترجمتها الى اللغات الاوروبية اول القرن الثاني عشر اثر . . . » .

الصحيح : اول القرن الثامن عشر ، ومعلوم ان اول ترجمة لها كانت الى الفرنسية ، عملها كالان Galland سنة ١٧٠٤ . . . ــ ولا بد ان يعزى الخطأ في كتاب العقاد الى المطبعة ، وخطورة وجوده هنا كونه منسوبا الى العقاد وصادرا عن دار محترمة ولم يكن الخطأ المطبعي مألوفا لديها في زمن الطبع .

بغداد ــ كلية الآداب **علي جواد الطاهر**

الملاح التائه

الدكتور سهيل بديع بشروني

الجامعة الامريكية في بيروت

جئتك سائلا
شاطئا لملاح تاه
وأبلاه الرحيل
باحثا في ثنايا الرياح
عن مكلأ للامان
يقيه بالحنان
آفات الزمان

*

سندباد أنا
افكاري بحار
ومحيطات مشاعري
تسرى بي
اليـــك
مع رياح الهوى
عبر طيات القفار

طفت مع الزبد
فوق كل موج
ضاربا شواطىء الصخور
صخور الفراق
عليها سفني كلها تحطمت
اشرعتها تمزقت
كأنها الاكفان
لآمال عراض

*

اين انت
في خضم العواصف الهوجاء
رحمـــاك
اقبلـــي
هـــدوءا
واحملـــي
ملاحك التائه
قوديه الى شاطىء
يغسل الهموم
يطهر الآلام
عنـــدك
راكعا خاشعا
في رحبك الحرام

السهل الممتنع في شعر العقاد

بقلم الدكتور محمود الشهابي

* * *

في كتب البلاغة العربية كثيرا ما يتناول تعبير « السهل الممتنع » ويقصد به : ان النص الادبي في وضوح معناه ، وسلاسة الفاظه ، يبدو سهلا بسيطا يغري القارىء على محاكاته ، فاذا حاول ذلك تعذر عليه .

ولقد اشتهر « العقاد » بآرائه النقدية الصائبة ، وبحوثه العميقة في شتى الموضوعات ، مما جعل جمهور المثقفين لا يلتفتون الى شاعريته ، والذين يعترفون به شاعرا يرون في شعره تعقيدا وصعوبة ، ويعانون من محاولتهم فهمه .

واذا جاز ذلك في بعض قصائد العقاد ، فان في شعره الكثير من السلاسة والوضوح ، ومعظم هذا الكثير يدخل ضمن نطاق « السهل الممتنع » . والامثلة على ذلك وفيرة ، منها ما حكاه شعرا عن طفلة كان يداعبها :

ما كان أملح طفلة   من غير شيء تخجل
ضاحكتها فتمايلت   وشعورها تتهدل
ورجوت منها قبلة   فأبت كمن يتدلل
فرفعت مرآة لها   فتطلعت تتأمل
قلت انظري في وجهها   أفأنت أم هي اجمل
قالت وفيها غضبة   أنا بالملاحة أمثل
ومضت تقول الى متى   تنسى الجميل وتجهل
عطفت علي وكل محبوب   يغار فيسهل

واذا كان الشعر في مثل هذه الامور من شأنه ان يكون ذا تعبيرات غير معقدة حتى تنسجم مع بساطة التجربة ، فسوف نجد السهولة ايضا لدى « العقاد » في الشعر الذي يتضمن نظرة التأمل العميق . من هذا القبيل : فلسفته للعاطفة بين الجنسين ، حيث الحياة لا تكتمل الا باشباعها ، فالرجل مكمل للمرأة ، والمرأة متممة للرجل ، والسعادة لا تتجزأ ، فهي اما ان تكون او لا تكون .

يا سائلي اين السعادة   أين صفو العيش أين
ان السعادة لا تراها   في الحياة بمقلتين
خلقت لاربع أعين   تخلو بها ولمهجتين
لك مقلتان ومهجة   أترى السعادة شطرتين

ومن تجارب « العقاد » العاطفية ، تلك التجربة التي كان يتوهم خلالها ان الكون كله بما فيه غير قادر على منحه السلوان ، ثم تبدل شعوره نحو محبوبته ، فصار يتأمل ما آل اليه ، ويعجب مما كان فيه ، ثم صاغ ذلك في بيتين فقط من الشعر يموج فيهما الصدق والوضوح :

لم أدر كيف يطيب لي نسيانها   وخيالها في ناظري معلق
حتى نسيت فعدت اذكر أنها   كانت هواي فلا أكاد أصدق

ومن التجارب العاطفية ما تكون متشابكة النوازع ، معقدة الاهواء ، حيث تضطرم نفس الانسان في وقت واحد بأحاسيس مبهمة غامضة ، ومشاعر متضادة متناقضة ، وبالرغم من هذا يأتي تعبير « العقاد » عنها يفيض رقة وسلاسة : من ذلك قصيدته « هنت والله » التي يقول فيها :

هونت خطبك جدا   وخلته لن يهونا
حمدا لكيدك حمدا   حمدا يفيض العيونا
بدلت بالنار أمنا   وبالحياة سكونا
اني أمنت الفتونا   وأنت ماذا أمنت
قد هنت والله هنت

كم دار في الكون رأسي   حيران يطوي بقاعه
شكى يسائل حدسي   أين اختفت منذ ساعة
سفينتي اليوم ترسي   والركب يطوي شراعه
غيبي بغير شفاعة   ما أنت ويحك أنت
قد هنت والله هنت

يا فرحة القلب لما   رخصت بعد غلاء
خسري بذلك تما   وتم منك نجائي
لقد حسبتك غنما   فطال فيك شقائي
وغمس قلبي بدائي   لكن رحمت فخنت
وهنت والله هنت

ولا يقف شعر « العقاد » السهل الممتنع عند التجارب العاطفية فقط ، بل نجده في مختلف الميادين ، ومن قصائده المشهورة في هذا الصدد ما قاله في رثاء الاديبة « مي » :

أين في المحفل مي يا صحاب   عودتنا ههنا فصل الخطاب
عرشها المنبر مرفوع الجناب   مستجيب حين يدعو مستجاب
سائلوا النخبة من رهط الندى   أين « مي » هل علمتم أين « مي »
الحديث الحلو واللحن الشجي   أين ولى كوكباه أين غاب

واذا كنا نجد معظم السهل الممتنع في الشعر العربي يدور حول الموضوعات الوجدانية ، فان « العقاد » قد طرق بشعره هذا اغراضا متعددة ، بل انه خاض غمار معان من العسير التعبير عنها نثرا ، فاذا به يصوغها قريضا يفيض رقة وعذوبة ، وذلك كالتحليلات النفسية ، ومن الامثلة ما قاله ابان حكم جائر في مصر ، وكانت القضية التي تشغل بال المفكرين وادهشتهم :- كيف اندمج فريق من اصحاب الراي مع هذا الحاكم وصاروا يدافعون عن مساوئه ؟ . ولقد سئل « العقاد » في جلسة خاصة عن تحليل نفسية هؤلاء فأجاب شعرا :

في المرآة

مشطت شعرها ، ففاح العبير ... يـا لطيب بكـل عطـر يمور
ورأيت الربيـع يبسم فجـرا ... عـن زهور أنفاسهن العطـور
وعلى الغصن أنطق الوجد طيرا ... مـا احتوته مع الاليف وكور
فـاذا بالفـؤاد يضرم جمـرا ... هو جمر قـد أضرمته الثغور
والنسيم الشريد يخفـق قلبـا ... لمحب بعـد التنائي يـزور
ذرف الورد دمعة الطـل صبا ... لجميل يبكيـه دمـع غزيـر
صفحة النور صورت لي حبيبي ... كيف يبدو للحسن هذا النظير
قلت : لكن في وصفه لم تصبيبي ... أي بـدر يضيء هـذا الغدير
ذكرتني ممـن أحـب نصيبي ... لي طيف تبديه في الحلم حور
عذبتني بموجـة مـن وجيبي ... بعد يأسي قـد خلتها لا تثور
بلبل الروض كنته حين يشكو ... وشكاتي لهـا الجواب الزئـير
شمعة العشق كنتها حين تبكي ... أخمدوها . وقيـل صبحا تنير
درة الشعر صغتها من دموعي ... فمحاها بـين العباب هديـر
منية القلب صنتها من ضلوعي ... فتمنـت أن يحتويني الحفـير
أوجع الوهم هذه النفس شكا ... فمنـى الوصل للغياب حضور
وسلكت الطريق ينبـت شوكا ... ولغيري الطريق هـذا الحرير
أيـن مرآة خافقي ، لهف نفسي ... فعليها مـن الهمـوم صخور
حطمت ثـم حطمت مثل قلبي ... وطوتها مـن التـراب ستور
كان للصبح ومضها في ابتسام ... ويرى الليل حولها وهو نـور
كـان للـدر ماؤها في قـوام ... يـا لدر مـا ان حوته البحور
أتراهـا فجرا لليـل شجوني ... ومهيض الجناح كيـف يطـير
أضيـاء بهـا ضيـاء عيوني ... فلتنله ، أدري بأنـي الضرير
أسمـاء أسمعتها مـن لحوني ... لحباب ..... لحنـي الخرير
تلـك ذكرى ، وللغرام كتاب ... وهي فيه بعد السطور سطور
ان هـذا مـن الأمور عجاب ... سوف تبقى ، وسوف تفنى الدهور

القاهرة — حسين مجيب المصري

كـم ذليل عـن نفسه يدفـع الـذل بحـب لمـن سقاه الهوانا
يخدع النفس ان تسلم بالقهر فيجريـه في الضمـير حنانـا

والقضايا الفلسفية عـادة يصعب تطويعهـا للسهولـة الشعرية ، بينما ذلك بالنسبة « للعقاد » امر هين يسير .

يقف متأملا سخط البشر على الاقدار دائما ، وعدم الرضا في جميع الاحوال فيقول :

صغـير يطلـب الكبـرا ... وشيـخ ود لـو صغرا
وخـال يشتهـي عمـلا ... وذو عمـل بـه ضجرا
ورب المـال في تعـب ... وفي تعـب مـن افتقـرا
فهـل حاروا على الاقدار ... أو هـم حـيروا القدرا
شكـاة مـا لهـا حكـم ... سوى الخصمين ان حضرا

تلك لفتة عابرة الى شعر « العقاد » وهذا الذي ذكرناه قليل من كثير نجده لديه يزخر به تراثه الشعري ، ولعل الذين يصفون شعره بالتعقيد والصعوبة يعيدون النظرة اليه ، ليروا تراثا هائلا من السهل الممتنع .

لندن — محمود الشهابي



حسين علي محمد

الاسود والابيض

في شعر حسين علي محمد

بقلم مصطفى النجار

* * *

حسين علي محمد شاعر من القطر المصري الشقيق ، يمتاز بنشاطه الادبي المتعدد ، فمثلما يكتب الشعر يكتب الدراسة الادبية والنقدية ، وقد فاز بالجائزة الاولى في المسابقة التي اجرتها دار البحوث العلمية في الكويت عام ١٩٧٦ عن بحثه القيم « نظرة ايمانية للصراع الدرامي والشخصية في الادب المسرحي » ، وله نشاط في المسرح الشعري فقد اعد مسرحية للطبع بعنوان « الرجل الذي قال » ، كما انه يسهم كمحرر بارز في مجلة « صوت الشرق » القاهرية .

وفي هذا المقال عنه سأكتفي بجانب واحد ، اذ سأعرض على القارىء مجموعة من قصائده التي طالعتها عدة مرات ، وفي كل مرة اشعر بمتعة جمالية ، فالشعر من النوع البسيط العميق ، والغنائي الشفاف رغم ما يحمله من معاناة جماعية هي هموم كل انسان يعيش الواقع اليومي .

وان الحديث المجتزا عن شاعر هو غبن له ، فالصورة الكاملة تعطي ابعادا كاملة ، وبخاصة عن شاعر شاب لم تكتمل بعد عنده الوان تلك الصورة . ولعل مجموعة شعرية كاملة لحسين علي محمد تساعدنا يوما في احاطة تجربته على مدى سنوات العطاء .

والقصائد التي بين يدي وليدة الزمن الاخير ما بين ١٩٧٥ — ١٩٧٦ وهي منشورة في مجلات مصرية (الكاتب — الزهور) وفي مجلات سورية (الثقافة — الفداء) .

ان قصائد حسين علي محمد وليدة الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر اذ ان بعضها يمتاز بالبساطة والوضوح والآخر يمتاز بالغموض . والنفس كالبحر بين مد الحزن وجزر الافراح ! وهذا عائد الى الصدق عند حسين .

فمضامين قصائده تأملية واقعية ، يحاول خلق معادل موضوعي لمشاعره فيبني من خياله الثر احلاما تتجاوز هذا الواقع ، ورغم ذلك فان شعره لا يخلو من نبرات اللوعة والاسى وحتى الخيبة والخوف من الغد . وقصيدته (نهاية الرحلة) تجسد المرارة والفراغ النفسي ، يقول فيها :

حينما رحلت في عيونك البحيرة

راكبا بساط الموجة المنطفئة

ماسكا زمام الماء والاعشاب والطحالب الملونة

كانت عناكب الخريف في انتظاري

تراقب انكسار الضوء في مدامع النهار !

هي تصوير دقيق لحالة الاحباط النفسي . فالعيون بحيرة . والموجة منطفئة . والطحالب ملونة ، والخريف ، والانكسار .

وتزداد الموجة حدة حينما يقول في القسم الثاني من القصيدة :

ومركبي في الوحل يا صديق

اخاف من عوائق الطريق

اخاف من غدي المجهول

وفي قصيدة (السقوط في الليل) وللعنوان دلالة نفسية مركبة تعمق من تلك الحالة النفسية التي اتينا على ذكرها .. انه يخاطبها ، تلك التي ينتظرها فتطلع عليه في الصباح فيقول :

والعاشق الذي القته في الطريق

عواصف الحنين والاشواق

يظل مغمض العينين

حالما بقطرة من مائك اللجين

هي بين يديه ويحلم بقطرة من ماء ! وعندما يرى اميرته غمامة ساعة الظهيرة ، يشعر بالطمأنينة والامان هنيهات ، فلا يصدق هذا الانسجام الشاعري فيقول :

ترى كم يستمر ذلك الامان

في احضانك المظلة ؟

وصح ما توقعه ، فالنهاية واحدة مهما اخذت اشكالا وفي اي الاوقات :

اراك في المساء تخرجين من يدي

وتفلتين من اصابعي

يا فلتي البيضاء اين تذهبين ؟

وتحتدم المأساة حين يراها :

اراك تسقطين

فراشة محروقة في الليل

اراك تسقطين
والليل يستمر

ولعل القارىء يتساءل : ومن السبب ؟ فيأتي الجواب من الشاعر :

والخاطفون

انوارهم مثيرة

اموالهم كثيرة

عيونهم ضريرة

لا يبصرون العاشق المسكين في الظلام

بهذه اللفتة الذكية استطاع ان يعمق من مسار القصيدة فكريا وان يخلق عنصرا دراميا يثير فينا الحركة والانفعال .

الشاعر يسأل دائما ، ولا يرضى السكينة او هي التي تفر منه . ان في اعماقه الحركة ، والمشاعر المنطلقة ، لذا عندما كتب قصيدته « تأملات » التي تتألف من ثلاثة مقاطع اخذ الاول شكل القصة المكثفة والمرمزة قد شابها بعض التشويش في مضمونها . مثلا : كيف المارد يصبح قزما ؟ ثم يصبح القزم فارسا ثم يموت ؟ الحقيقة لم استطع الولوج في تكوين هذا المقطع ، وذلك بخلاف المقطع الثالث الجميل المنساب شكلا ومضمونا :

افتح صدري للآت

وهي كلمة تلخص افكارا وحالات . فهو يسمع ويشهد ويبحث ــ وهذا ديدن كل المفكرين في العالم ، ثم انه لا ييأس كما لمحنا ذلك في نبرات الخيبة الحزينة ، بل يقول :

انتظر الشمس تعود

انتظر عصافير الفجر . . .

توشوش شجر الصبر بأحلى الهمسات

وحبذا لو توقف هنا ، ولم يشرح هذا الموقف ! . اذن ماذا تضيف على القصيدة تلك الكلمات :

انتظر الغد

ما احلى شمس الغد

تقتل ميكروب الخوف

وميكروب الحسرات !

والشاعر حسين يجرب تشكيلات مختلفة لقصيدة « الشعر الحديث » . منها ما يحتفظ بالقوافي وتنويعها مما يضفي جوا موسيقيا محببا يقترب بها من معمار الشعر العربي وما يسميه بعض المتطرفين الجدد (بالجديد الكلاسيكي) . ومنها ما يأخذ شكل (الرباعيات) ولهذا النوع نكهة تنتسب الى الشعر الفارسي والعربي شكلا .

وامامي الآن قصيدة (لماذا تظل العصافير تشدو ؟) تتألف من خمسة مقاطع . كل مقطع : طريقة كتابته ككتابة النثر وينتهي بروي الميم . مع ان المقاطع لا تأبه غالبا بالقوافي من داخلها ، وهذه كتابة مارسها بعض الشعراء عندنا كصلاح عبد الصبور في قصيدة « توافقات » التي نشرت في مجلة « الشعر » القاهرية عام ١٩٧٢ . ومارسها غيره تقليدا لبعض الشعراء الاجانب امثال (سان جون برس) ويمكن ان انسبها الى العربية اذا ما قورنت بالتشكيل الكتابي الذي قام به الشاعر ابو العلاء المعري في (الفصول والغايات) .

فالتشكيل نفس التشكيل سوى ان كلامه من غير ايقاع عروضي . والفت نظر الباحثين والدارسين لهذه النقطة بالذات مما يفتح النوافذ المضيئة على كنوز تراثنا الخالد وارتباطه بالعصر الراهن .

وشاعرنا حسين قام يجرب ووراء تجريبه ذخيرة من الموهبة والمعاناة وهذا ما يميز تجريب الاصلاء عن الدخلاء واصحاب الالعاب الشكلية والالفاظ الخلبية الذين ابتلي بهم شعرنا ، وكأنما شاعرنا حسين عناهم حين قال :

قد كرهت العشق ، والشعر واني

راحل يا نفس للارض البعيدة

جراح لبنان

فيم الندامة ، يا قدسية الوطن ،
قد نكتم الدمع ، قد نبكي بلا سبب
نتيـه في الغربة الدكناء ، يسائلني
مسرى النبيين ما هان الشموخ به
كرامة الارض لا تعنو بـلا ثمـن
قدسية الحسن ، ما هذا أوان هوى
وقيل : من أنت ؟ من أنماك رائعة
أصفيت حبـك رقراقا بـلا منـن
مدائـن الارز أدمتنـي مواجدها
قـد كنت ألثـم في ذراتها وثنا
هل لي اليك ، على الاشواق ، معذرة
جراح لبنـان أدمت كـل عاطفة
لا وقت للحب في أرض يموت بهـا

وبعض بوحك من شجوي ومن شجني
قد نخنق الآه ، قد نشكو من الزمن
من يسألونك عن شعبي وعن وطني
وموئل الارز لـم يركع ولـم يهن
ولا تباح دمـا شعب ، بـلا ثمن
كيمـا يغـرد قمري علـى غصن
حتى مررت على الاهداب كالوسن
وأنت تدرين مـا حـب بـلا منن
لمـا حننت الـى قدسية المـدن
فهاج نفسي أن داسوا علـى الوثن
الم يذبني لهيب الروح والبدن ؟
فليس ينساق لـي قلب الى الفتن
شعب يهدهد في أرجوحة المحـن

فوزي عطوي

لن تراني عاشقا امضي اغني

فالاغاني كلها اضحت بليدة

او في قوله :

لا تقل نثرا ولا شعرا كهذا

لا تقل شيئا ففي الصمت النجاة

قد قضينا العمر تغريدا . فماذا

قد جنينا غير تنكيل الطغاة ؟

وفي قصيدة (لماذا تظل العصافير تشدو ؟) روح تساؤلية قلقة ، وشاهدة ومنتظرة ، ويمكن ان نفرد لها مقالة خاصة لدراستها وتحليلها ولعلي افعل ذلك تحت عنوان (شاعر وقصيدة) ان شاء الله .

اما رباعياته فهو يحاول فيها ان يفلسف الوجود من حوله فينقل شرائح مختزلة ناقدة للمجتمع وللحياة ، ومصورة لحيثيات الواقع واسرار الطبيعة الانسانية .

واقتصر على ذكر بعضها ، فان بعضها يغني :

هذه الارض سعير في دمانا

ولظاها في حنايانا حرائق

قد كرهنا العيش يوما ونهانا

اننا فيها ولدنا في الخنادق

ولا اجد ما يبعث على استمرارية التفريد على افنان هذا العمر بكل جسارة الا ترديد المقطع الاول من قصيدة (الظل والموت) للشاعر حسين علي محمد المنشورة في مجلة (الكاتب) المصرية (عدد نيسان ١٩٧٦) ما يعطي للقارىء مفتاحا من مفاتيح شخصية هذا الشاعر ، وما يدل على اللون الابيض في اللوحة الرمادية :

حين تلاقينا

واستلقى ظلك في وادي الصمت

كانت اغنية الحب السكرى النشوانة

تضحك في عينينا

تزرع في صحراء النفس

ورود الامل وفل الاحلام الريانة

كانت تقتل في داخلنا الموت

حلب — مصطفى النجار



علي المصري

الحركة الثقافية في المملكة العربية السعودية

بقلم علي المصري

* * *

ها هي قوافل الحداء في المملكة العربية السعودية ، ارض النبوة والبلاغة والامجاد ، التي سارت على وقعها يوما ، كتائب فتية ، ترفع رايات الحق والنور والهداية ، وتدفع حومة الباطل وتمزق سجف الظلام وتهتك ستر الكفر والوثنية ، تعود اليوم لترفع صوت الحق عاليا ، والنبرة العربية الاصيلة في ترانيم شعرية وتصانيف ادبية ، مسربلة بهالة من القدسية والجلال والمهابة والروعة ، لتجمع كل مآثر التاريخ في نبضة ندية تنشرها ادبا رفيعا وشعرا عبقريا خالدا على امتداد الصحاري والروابي والسهول والدساكر ، ونغما شجيا يذر على الكون جدائل الخير والياسمين ، وتصويرا سحريا معجزا يحيل الدنيا العربية الى واحات جميلة نستظل ادواحها ، ومعاني سرمدية ينهل منها الفكر فلا يمل ، ويعتل منها القلب ولا يشبع ، وتعب منها الروح فلا ترتوي . ظمأ دروب العطاء كلها على رمال المملكة العربية السعودية العزيزة .

رمال .. اجل رمال جزيرة العرب ، رمال الحجاز ونجد والهفوف وتهامة والعسير ، رمال كلمة ليست كباقي الكلمات .. ننطقها فتثير في خيالنا كل نواميس النبوة ، واحاسيس المجد والفار ، ومشاعر الايمان والاعتزاز والفخار ، وتنعقد فوق رؤوسنا ديم من مثار النقع في بدر واحد والخندق اكاليل مجد وانتصار . وتتساحب على شريط المخيلة المستثارة ، براعة الصور الشعرية للسلف الصالح مكللة بالعطر مزينة بالازهار .

عرفت ديار زينب بالكثيب — كخط الوحي في الورق القشيب
وخبر بالذي لا عيب فيه — بصدق غير اخبار الكذوب
بما صنع المليك غداة بدر — لنا في المشركين من النصيب
يناديهم رسول الله لما — قذفناهم كباكب في القليب
ألم تجدوا حديثي كان حقا — وأمر الله ياخذ بالقلوب
فما نطقوا ، ولو نطقوا لقالوا : — صدقت وكنت ذا رأي مصيب

وهكذا تستحيل كل حبة رمل الى نقطة عنبر تمور بالعطر والعطاء ، وتكتسي كل ذرة تراب بغلالة شوق تدفع بنا عبر مسارب الحب والحنين الى مرابع فاطم ، ومية ، وعزة ، وريا ، والرباب . لنتجول بين مضارب كندة في الدراج فالمتثلم ، او في مرابع ذبيان في العلياء فالسند ، او في منازل بني عامر مع لبيد بن ربيعة العامري في الغول والرجام بمنى ، او مع بشامة بن الغدير في خيام بني غطفان بالجزع والدوم بين بحار فالشرع ، او في مناهل بني تغلب مع عميد بن جعل في ديار الحي بالبردان .

شريط عبق ندي من الذكريات الباهرة ، تعيده اليوم الى مسامعنا ترانيم حداء قافلة الادباء في المملكة العربية السعودية . هذه القافلة الفتية التي استطاعت ان تغرس جذورها على ارضية ادبية فنية ثابتة ، لتعيد لارض العرب في جزيرة العرب مجدها الاثيل وعزها السامق ، فتعيد للشعر العربي صباه وجزالته واصالته ، وللبلاغة العربية أسها ورونقها ورواءها ، في ظل ادارة حكومية عربية سعودية تضطلع بأسباب النهضة الشاملة في مختلف الميادين ومرافق الحياة العامة ، وتدفع بقوة واصرار عجلة النهضة الادبية الى الامام ، جنبا الى جنب مع التقدم العلمي والاقتصادي والسياسي .

فالمملكة العربية السعودية في وثبتها الجبارة على مختلف الاصعدة ، ظاهرة متميزة فريدة تستحق التأمل والدراسة . ونخص في مقالنا هذا دراسة الصعيد الادبي والفكري ، الذي أولته الادارة العربية السعودية كل عناية ورعاية واهتمام . فأخذت بأيدي الادباء من كتاب وشعراء وصحفيين ، وفتحت امامهم سبل الدرس والتحصيل والتفرغ للتصنيف والتأليف ، وشيدت الكليات والجامعات ، وبنت المدارس والمعاهد في مختلف الاصقاع والجهات ، وأقامت دور العلم والثقافة والمكتبات ، واسست النوادي الادبية والجمعيات ، وافتتحت دورا للصحافة اليومية والمجلات الدورية ، واستحضرت كل وسائل النشر والطباعة وصناعة

الكتاب . واقامت المخابر والتجارب كأحدث ما هو متوفر في العالم ، وعممت شبكة الاتصالات السلكية واللاسلكية والاذاعة والتلفزة ومحطات الاقمار الاصطناعية ، وارسلت البعوث ، واستقدمت الخبرات العالية في كل ميدان . فتمخض ذلك عن ظهور جيل بل اجيال من اسماء لاعلام كبيرة لامعة في دنيا الفكر ، والادب ، والشعر ، والفن ، والاقتصاد ، والسياسة ، والعلم ، وكل المجالات . راحت تحتل مكانها اللائق بين امثالها في الاقطار العربية الاخرى ، والتي وان سبقتها فترة من الزمن الا انها تغذ السير لراب الصدع وتلافي ما فات . وبتضافر الجهود الفردية والحكومية ، يحتل الادب العربي السعودي اليوم مكانة تتعزز يوما بعد يوم .

واذا اردنا ان نتحدث عن بدايات هذه الحركة الادبية في المملكة العربية السعودية بدقة وموضوعية ، وهذا ما نرمي اليه ، فلا مندوحة لنا من الحديث بادىء ذي بدء عن البيئة والمناخ الفكري والادبي الذي ساعد على نهوض هذه الحركة الادبية وانتصابها على قدميها ، مرحلة مرحلة ، ثم نتحدث عن التعليم ومراحله واطواره ، ثم عن الادب والادباء ، والاشكال الادبية ، راجين ان نوفي الموضوع حقه مهما كلفنا من بحث مستمر وعمل دؤوب ، متبعين في البحث المنهج التالي :

١ ــ نشأة وسائل الاعلام وتطورها :
الصحافة ، الاذاعة ، التلفزة .

٢ ــ وسائل التعليم ومراحلها :
المدارس ، المعاهد ، الكليات ، الجامعات .

٣ ــ المكتبات والنوادي الادبية .

٤ ــ الطباعة وصناعة الكتاب .

٥ ــ الفنون الادبية التقليدية :
ــ الشعر الديني ــ فن الغزل ــ فن المديح ــ فن الرثاء ــ الفنون الاخرى .

٦ ــ الفنون والاشكال الادبية المستحدثة :
فن المقالة ــ فن القصة .

٧ ــ حركة التجديد والانبعاث في الادب السعودي .

مراعين في كل ذلك موضوع فن المقالة وظروف المجلة الفنية ومصلحة القارىء العزيز ، في اتمام موضوع متكامل في المقال الواحد ما امكن ذلك .

نشأة وسائل الاعلام وتطورها :

الصحافة : ان التأريخ للنهضة الادبية الصحفية في المملكة العربية السعودية قبل توحيد البلاد على يد العاهل السعودي الكبير عبد العزيز آل سعود ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م . يكتنفه الكثير من الغموض لاسباب عديدة اهمها :

١ ــ ضياع معظم الصحف والمجلات التي صدرت قبل هذا التوحيد ، تحت عجلات التاريخ وغبار اسفاره المتراكمة على توالي السنين .

٢ ــ ان ندرة اهتمام الناس بجمع هذا النوع من الادب في تلك الحقب ، ساعد على ضياع الكثير منها ، وتلف المتبقي تحت غبار النسيان والاهمال .

٣ ــ قلة المؤرخين لهذا الفن ان لم نقل ندرتهم . اما من ارخوا له فقد جاءوا متأخرين لذا فان ما جاء في نقولاتهم لا يفي بالغرض ، نذكر منهم الاساتذة محمد حسين نصيف ، ومحمد سعيد العامودي ، وعبد القدوس الانصاري . وكل ما جاء بعد ذلك من تأريخ لهذه الحركة الصحفية ، كان معتمدا على ما ترك هؤلاء .

٤ ــ لان اي بحث لموضوع الصحافة في الجزيرة العربية قبل توحيدها على يد السعوديين يعتبر ناقصا ، لعدم اشتماله على كل ما نشر في اصقاع اراضي الجزيرة العربية الشاسعة بحدودها الحالية المترامية الاطراف والتي تقدر مساحتها بمليونين واربعمائة الف كيلومتر مربع .

٥ ــ ونقطة مهمة اخيرة هي اضطراب الحياة السياسية والاقتصادية والادبية والفكرية وعدم الاستقرار قبل الحكم السعودي ، ادى الى ضياع ما صدر من صحف ، وعدم امكانية استمرار صدور ما قام منها .

واذا اردنا ذكر بعض الشواهد عن نماذج من هذه الصحافة في مطلع هذا القرن لا نجد ادل على ذلك من صحيفة « القبلة » الحجازية في العهد الهاشمي .

اما الصحافة في العهد السعودي .. او عهد الاستقرار السياسي والاقتصادي ، فيمكن تقسيمه تسهيلا للدراسة الى عهدين اثنين :

عهد صحافة الافراد .. حيث كان امتياز الصحيفة يعطى لفرد واحد او اكثر ، وقد استمر هذا العهد قرابة اربعين عاما (١٣٤٣هـ/١٩٢٤م الى عام ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م) وسميت هذه الفترة من حياة الصحافة بالصحافة الفردية .

وقد صدر في هذه الحقبة من الزمن ثلاث وثلاثون صحيفة ومجلة في ارجاء المملكة ارخ لها بكل دقة وامانة وتفصيل على غرار تأريخ الدول المتقدمة . ونذكر منها على سبيل العد لا الحصر :

ــ صحيفة ام القرى .. التي ظهرت لاول مرة بتاريخ ١٣٤٣/٤/١٥ هـ الموافق ١٩٢٤/٢/١٢ م بمكة المكرمة بدلا عن صحيفة القبلة التي توقفت عن الصدور . واتصفت هذه الصحيفة بأنها الجريدة الرسمية للدولة . وتعاقب على رئاسة تحريرها اعلام الفكر والادب في المملكة ، وما زالت تصدر حتى اليوم ، وكانت نبعا فياضا وموردا ثرا للفكر والادب .

— صوت الحجاز .. التي صدرت بجدة سنة ١٣٥٠هـ/١٩٣١م ، تعاقب على تحريرها كثيرون من اعلام الادب في المملكة حتى توقفت عن الصدور في زمن الحرب العالمية الثانية ثم عادت بعدها للصدور ولكن لتدمج بجريدة اخرى بعد ان بدلت اسمها ، وصارتا تصدران باسم « البلاد » حيث اصبحت صحيفة يومية ، وقد اهتمت بالمقالات الادبية والاجتماعية .

— المدينة المنورة .. وهي اقدم صحيفة تصدر في هذه المدينة الكريمة ، وسميت باسمها ، وقد بدات تصدر اسبوعية بتاريخ ١٣٥٦/١/٢٦ هـ الموافق ١٩٣٧/٣/١٠ م. ثم نصف اسبوعية ثم توقفت زمن الحرب الكونية الثانية عن الصدور . ثم عادت بعدها صحيفة يومية . وقد اهتمت بالاخبار اكثر من اهتمامها بالمقالات الاخرى والبحوث .

— مجلة الرياض .. وهي اول مجلة شهرية مصورة تصدر في البلاد ، ثم تحولت الى اسبوعية وقد حفلت بالصور والمواضيع الكثيرة المصورة .

الا ان تجربة الصحافة الفردية اخفقت ، ومنيت هذه التجربة بنكسة مؤلمة مريرة ، اذ اثرى بعض الافراد منها على حساب المضمون الفكري والادبي ، مما ادى الى انحدار المستوى الادبي والفكري لهذه الصحف ان لم نقل انحطاطه ، وضاع المتحذلقون من مدعي الادب والمعرفة وضيعوا الناس معهم في متاهات فكرية وجدل عقيم حول فتحة او ضمة او مسالة خلاف لغوية او ما شابه ذلك من منزلقات كانت وخيمة العاقبة . يضاف الى ذلك ضخامة هذا العدد من الصحف الذي لا يتناسب وعدد القراء في المملكة . هذه العوامل كلها متضافرة ، ادت الى التجني على الادب والهبوط بمستواه الفني ، كما مهدت السبيل الى الانتقال للعهد التالي من الصحافة وهو عهد المؤسسات الصحفية .

عهد المؤسسات الصحفية .. بعد الكارثة الادبية التي ادى اليها عهد الصحافة الفردي كان لا بد للادارة السعودية من اتخاذ بعض الاجراءات لتلافي النقص وسد الثغرة ، واصدار بعض التشريعات الناظمة لذلك ، حيث قرر مجلس الوزراء في المملكة العربية السعودية في اليوم الثالث والعشرين من جمادى الاولى سنة ١٣٨٣ هـ الموافق ١٩٦٣/١١/٨ م بموجب القرار رقم /٤٨٢/ الغاء امتياز كافة الصحف الموجودة في المملكة ، ومنحه لشركات او مؤسسات اهلية خاصة مؤهلة للنهوض بهذا المرفق الهام من مرافق الحياة الفكرية والادبية .

وقد اوضحت الجهات الرسمية الاسباب التي حدت بالحكومة السعودية الى اتخاذ هذا القرار بأنها « ارادت ان تكون صحافتها رسالة ، لا حرفة ، تسمو على المادة وتسعى للتهذيب والاصلاح ، وتوجيه الراي العام السعودي توجيها مثاليا ، تمد وجدانه ، وتخاطب ذهنه ، وتخدم المجموع ولا تنزلق الى — عبادة الشخصية — وخدمة — المصالح الفردية — اللتين ينبذهما الدين الاسلامي ، وان انفراد شخص واحد او شخصين بالحصول على امتياز الجريدة وتحريرها ، دون الاستعانة بعدد من المواطنين من ذوي التجارب والقدرة على الادارة والتوجيه ، امر لا يخلو من المساوىء ، كما انه لا يتيح للصحيفة القيام بمسؤوليتها قياما كاملا . لذلك رات الدولة ان تعزز صحافتها وترفع مستواها ، فقررت ان تعهد بامتياز الصحف والمجلات الى مجموعة من المواطنين المؤهلين لمثل هذه الرسالة ، ويكون لكل مجموعة وجود منظم ، يأخذ شكل المؤسسة الاهلية ، او الشركة ، دون ان يكون للدولة ارتباط بها ، الا بما تمليه المصلحة العامة وفي حدود ما يقضي به النظام » .

ثم صدر المرسوم الملكي بنظام المؤسسات الصحفية الاهلية في الرابع والعشرين من شعبان سنة ١٣٨٣ هـ الموافق ١٩٦٤/٢/٤ م الذي سمح بقيام ثمان مؤسسات صحفية والسماح بالاستمرار لخمس صحف سابقة ، وترخيص لخمس اخرى بالصدور .

وهكذا وبعد خمسة عشر عاما نستطيع ان نحكم على هذه الصحف بارتفاعها الى المستوى الفني الادبي الرفيع ، بعيدا عن مسايرة ممول او وجيه او الخضوع لنزوة شخصية او ما يتعارض مع قيم المجتمع الجديد والتمسك بأهداب الاخلاق التي تمليها مبادىء الدين الاسلامي الحنيف . كما ان راس مال الصحافة الجديدة مكنها من دخول مجال العلم والتقنية المتقدمة في عالم الصحافة والنشر ، واهلها لان تنشىء لها فروعا ومراسلين في كثير من انحاء العالم مزودين بأعلى درجات الخبرة الفنية والعلمية والادبية وفي شتى مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والصحية والرياضية وغيرها ، يضاف الى ذلك جودة الورق ورقي الطباعة وروعة الاخراج ، فاستقطبت ارباب القلم من اصقاع العالم العربي كله ، كما ترجمت لاساطين العلم والبيان في هذا العالم الفسيح . ولا ادل على ذلك من دار مجلة الفيصل الغراء للثقافة التي لا توازيها دار اخرى في الوطن العربي ان لم نقل في العالم كله ، وهذا مثل للشاهد ، ومثلها دور كثيرة للنشر .

لقد اهتمت صحافة هذا العهد — عهد المؤسسات الصحفية — بأهداف الجماهير الحياتية المختلفة ، ومعالجة القضايا والمشاكل الداخلية والخارجية ، بلغة عربية سليمة ، خلو من الركاكة ولغو القول ، متمسكة في كل ذلك بأهداب الفضيلة ومكارم الاخلاق ، بعيدة عن النعرات السياسية ، والهجمات الصحفية المسعورة التي تطغى على بعض الصحف في الاقطار العربية الاخرى ، وهذه سمة مميزة للصحافة في المملكة العربية السعودية ترفعها فوق

مستوى الصحافة في الوطن العربي .

وبفضل رعاية الدولة وما تقدمه لها من تسهيلات عديدة ، ارتفعت هذه الصحف والمجلات الى سدة المكانة المرموقة لها بين صحافة الوطن العربي والعالم اجمع ، بل وبزتها في كثير من المجالات العلمية والادبية والفنية وتفوقت عليهـا .

فكثرت المقالات العلمية والفكرية والادبية ، وخصص لها الامكنة المحددة والزوايا الثابتة في كل صحيفة ومجلة ، عالجت القضايا الادبيـة المختلفة ، والفنية المتعـددة ، والقضايا النقدية العامة والخاصة ، والمشاكل اليومية الحياتية ، كما راجت المقـالات القصصية القصيرة ، والطويلة ، والمسلسلة ، فكثر القراء وتعلقوا بزواياهم الخاصة المحددة في كل صحيفة ومجلة .

كما وانه تخصصت بعض الصحف والمجلات بقضايا الفكر بصورة عامة والفكر الاسلامي بصورة خاصة ، لنشر الدعوة الاسلامية الرشيدة الموجهة الى داخل وخارج الوطن العربي والى اطراف العالم الاسلامي الكبير وانحاء القارات المسكونة ، تحمل الى العالم فكر الاسلام الكريم وروحه الصحيحة وهديه المبين .

كل ذلك أملى وجود جيل كامل من الكتاب والادباء والشعراء والمفكرين الذين دفعوا عجلة التقدم والبناء بحذق ومهارة لمستقبل ادبي وفكري افضل تغبط عليه . كمـا وقامت افواج من المتخصصين بالطباعة والاخراج في عالم النشر ، حشد ذلك اجيالا مثقفة واعية لدينها ودنياها داخل البلاد السعودية وخارجها .

وبذلك تكون الادارة في المملكة العربية السعودية قد وفت التزاماتها ، وما هو مترتب عليها تجاه الدين والانسان في الفكر والادب والعقيدة .

الاذاعة والتلفزة : لا يستطيع احد في العالم اليوم ان يقلل من اهمية الدور الكبير الذي تلعبه شبكات التلفزة والاذاعة في نشر العلـم والثقافة والوعي في المجتمعات البشرية ، وما تضطلع فيه من دور رئيسي هام في انشاء المعرفة والادب بين افراد الشعب على جميع المستويات بما تعرضه وتذيعه من برامج ثقافية وعلمية متنوعة ، وما تقدمه من انتاج يانع مختار للادباء والمفكرين والشعراء والباحثين ، واذاعتها على الملأ . ولن ننسى اهمية الدور البناء للاذاعة والتلفزيون خاصة حينما يكونان موجهين — كما في المملكة السعودية — في توجيه الاجيال ودفعها عبر مسارب الخير ودروب الفلاح والرشاد التي تتمشى مع سنن الدين الاسلامي الحنيف وقيم المجتمع الاسلامي الصحيحة . وكذلك اهمية هذين المرفقين بالنسبة للصحافة والاخبار ونشرها وتعميمها على الناس .

والاذاعة في المملكة العربية السعودية وان بـدات ارسالها متأخرة وذلك سنة ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م ، الا انها اليوم قطعت اشواطا بعيدة في دنيا البرمجة والتنسيق وتحفل بفيض من البرامج الجدية الموجهة التي تساير تعاليم الاسلام وتحافظ على الاخلاق والحشمة . وقد خصصت منذ بداية ارسالها ركنا ثابتا للادب باسم « عالم الادب » تناوب كبار الادباء السعوديين الكتابة له او التحدث من خلاله مباشرة . وكذلك برنامج « مؤلف وكتاب » الذي عرض انتاج الاعلام والنخبة الممتازة مـن داخل المملكة وخارجها ، وعرض انتاجهم وعرف بهم ، وكذلك البرنامج الطريف الذي ما زالت الاذاعة السعودية تختم به برامجها « آخر العنقود » .

ولم تكتف الاذاعة بذلك بل دعت الادباء والمفكرين ليقدموا الاحاديث الادبية والدينية والاجتماعية والتاريخية والشعرية والقصصية والسياسية والاقتصادية والعلمية ، حتى تشكلت طبقة متخصصة من الادباء والمفكرين . ومع تقدم البرامج الاذاعية خصص اكثر من برنامج ادبي ، فهنـاك برامج قصصية ، وشعرية ، وفنيـة ، وفكرية وغيرها ، ولقاءات مع كتاب وشعراء ومفكرين وعلمـاء وفنانـين .

وقد استقدمت الاذاعة السعودية والتلفزيون اجـل البرامج والندوات من جمهورية مصر العربية وغيرها ، بالاضافة الى مواد التسلية الفكرية الحديثة .

كـل ذلك دفـع الحركة الادبية في المملكة العربية السعودية الى النشاط والانفجار وتشكيل ديم من الفن والادب تمطر زمردا وياقوتا على ادواح الادب وواحات الشعر في جزيرة العرب ، تستظل الاجيال افياءها الوارفة وتقطف من ثمارها الدانية القطوف .

فمن منا لـم يستمع الـى البرنامج الادبي اليومي « سجا الليل » الذي يفيض عذوبة ورقة وادبا ، وكذلك البرنامج الاسبوعي « ساعة مع فنان » والذي يكون بطله في اكثر الاحيان شاعر او اديب سعودي ، وبرامج كثيرة محورها الادب والفكر تتجدد يوما بعد يوم .

ثم يأتي بعد ذلك الارسال التلفزيوني ليرفد الاذاعة ويدعمها في نشر رسالة العلم والادب بالاضافة الى التوجيه الخلقي والديني الذي تـدأب الادارة السعودية علـى ترسيخه . وكذلك عرض البرامج الثقافية والتربوية بأثواب قشيبة رصينة ، كما وان التلفزيون تفنن بعرض مسلسلات لمواقف اسلامية وتاريخية تعيد الى الاذهان مجد الاسلام الرفيع وعظمة السلف الصالحين . بالاضافة الى التغطية الاخبارية والاعلامية المصورة للمواسم الدينية كالحج والتي تبثها الـى انحاء العالم قاطبة بواسطة محطـة الاقمار الاصطناعية التـي بادرت المملكة الـى تزويد اجهـزة اعلامها بها .

وتشرف وزارة الاعلام في المملكة العربية السعودية على داري الاذاعة والتلفزيون وتوجههما حسب خطة موضوعة تتفق ومصلحة المواطنين في المملكة بما لا يتعارض مع الاخلاق الكريمة والسلوك القويم ، وتستغلهما الدولة لغايات اعلامية توجيهية وثقافية وعلمية وتربوية . ثم خطت اكثر من ذلك حينما ادخلت بعض البرامج الترفيهية في حدود معقولة ومقبولة .

وهكذا نهضت الاذاعة والتلفزيون بالمهمة الموكولة اليهما في اداء رسالة التعليم والتوجيه ونشر الثقافة والمعرفة في المجتمع ، وهما في كل ذلك لا يقلان في مستواهما الفني والعلمي والتقني عن امثالهما في الاقطار العربية الاخرى . وساهما بايجابية في تعميم الثقافة وتعزيز مكانة الادب واللغة العربية ومبادىء الاسلام في العالم الاسلامي الكبير ، وتثوير الحركة الادبية على ارض المملكة العربية السعودية، وشحذ الهمم وتهيئة المناخ الملائم لخلق جيل من الادباء والمفكرين المؤمنين بدينهم وعروبتهم ليتخذوا من الكلمة سلاحا وسبيلا الى نشر افكارهم وتعاليمهم الحميدة الخصال . واننا لننتظر منهما الكثير الكثير .

وسائل التعليم ومراحلها

ان التعليم في الجزيرة العربية لم يكن تعليما بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة قبل قيام المملكة العربية السعودية على يد العاهل السعودي الكبير عبد العزيز آل سعود . ففي العهد العثماني كان التعليم باللغة التركية بما يتلاءم مع طبيعة الاجنبي المحتل ، حتى قواعد اللغة العربية كانت تدرس بالتركية ، ولم يتغير الحال في العهد الهاشمي القصير عما كان عليه .

اما التعليم بمعناه الحديث فلم يبدأ الا في العصر السعودي ، الذي بدأ فيه من الصفر ، وهو وان تعثر في بداية قيام المملكة العربية السعودية الا انه نهض من كبوته وسار في ركاب العلم تماما كما في بقية الاقطار العربية الاخرى ، بل وربما تفوق عليها من حيث توفر الامكانات المادية الهائلة .

واهم المعوقات التي اعترضت التعليم في بداية الحكم السعودي تتلخص في نقاط ثلاث :

— لم تكن هنالك موارد مادية للبلاد ، تمكنها القيام بأي مشروع ، غير موارد الحج التي لم تكن في حينها تسمن او تغني من جوع .

— عدم توفر الملاك والكوادر التعليمية والادارية المؤهلة للقيام بأعباء العمل التعليمي ووضع البرامج والكتب التعليمية في البلاد .

— واخيرا وجود بعض العقليات المناهضة لكل جديد في ذلك الحين ، والتي لم تكن لتقتنع بنظريات العلم الحديث والتقدم العصري للحضارة الانسانية .

وقد واجه الملك عبد العزيز هذه المشاكل على الدوام الى ان استطاع بفضل عقليته المتفتحة وطموحاته العظيمة ومرونته المعهودة ، ان يوضح لتلك الفئات فائدة المدارس الحديثة التي تساعد على تفتح عقلية الجيل وتنور بصيرته مما يؤدي الى تقوية العقيدة الدينية في القلوب ، وبالتالي تنقل المملكة الى مصاف الدول المتحضرة .

ولـم تمض سنتان فقط على قيام المملكة العربية السعودية الفتية ، اي عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م حتى انشىء اكثر من اثنتي عشرة مدرسة ، لـم يتجاوز عدد طلابها السبعمائة ، وخلال السنوات العشر التالية انشىء سبع وعشرون مدرسة في انحاء المملكة على الرغم من الظروف القاسية التي المحنا اليها .

وفي عام ١٣٦٣هـ/١٩٤٣م افتتحت مدرسة « دار التوحيد » بالطائف لاول مرة بهيئة تدريسية تضم ثلاثة سعوديين والباقي من البلاد المصرية والشامية ، واخذت تدرس التفسير والحديث والفقه الحنبلي والاصول والمصطلح والتوحيد والفرائض ، بالاضافة الى الحساب والنحو والصرف والبلاغة والتاريخ والادب والتجويد . يتعلم فيها الطالب على مراحل ، وتمكنه من الانتقال الى « كلية الشريعة » بمكة المكرمة التي افتتحت سنة ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م ، ويدرس فيها اربع سنوات يتخرج بعدها ليصبح قاضيا او مفتيا او مدرسا .

ثم توالى بعد ذلك افتتاح المدارس في مختلف انحاء المملكة ، واهم ما افتتح في ذلك الحين مدرسة « تحضير البعثات » بمكة وذلك لاعداد افواج الشباب علميا وفنيا ليتمكنوا من الالتحاق بمختلف الكليات في جامعات اوروبا وامريكا وبيروت ومصر . وبعد سنين قليلة رأينا كيف عاد هؤلاء المبعوثون ليحلوا محل الاجانب والغرباء ويتسلموا مقاليد العمل الجاد واعلى المناصب في الدولة ويديرون دفة العلم والادب ويدفعون عجلة الحركة الادبية نحو التقدم والارتقاء .

ثم انشئت بعد ذلك مدرسة المعلمين الليلية في الرياض عام ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م ، واحدث كذلك اول معهد علمي في العاصمة ، وكذلك أسست الادارة العامة للمعاهد العلمية والكليات . وهكذا استطاعت خطة الادارة السعودية التعليمية ان تنجح وتحقق اغراضها ، وتقنع الناس بفائدة المدرسة العصرية ، فأقبل المواطنون بأفواج ابنائهم الى المدارس لتلقي العلم من مناهلها . وراحت الدولة تبث المدارس في كل حدب وصوب تلبية لرغبات المواطنين ، فالمال قد توفر ، والكوادر التعليمية قد نمت وتطورت ، وهكذا حققت الحركة التعليمية انتصارات باهرة . ولم

تنته مهمتها الا عندما انشئت وزارة المعارف عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م ، وبدأت مهامها الضخمة تتزايد يوما بعد يوم . ولتقدير مدى ضخامة المسؤولية الملقاة على عاتق وزارة المعارف ، نلقي نظرة على ارقام موازنة هذه الوزارة التي لم تكن تتجاوز اثني عشر مليون ريال في بداية انشائها في حين انها تتجاوز اليوم الستمائة مليون ريال .

واما مناهج التعليم ومقرراته في عهد وزارة المعارف فقد اصبحت تضاهي مناهج ومقررات احدث ما في وزارات المعارف في الدول العربية الشقيقة ، وتسلحت بالعلم والتخطيط وبأعلى المستويات ، فقسمت رقعة المملكة المترامية الأطراف الى احدى وعشرين منطقة تعليمية مستقلة ماديا واداريا ، وقسمت التعليم الى فروع اهمها : التعليم العام ، والفني ، والجامعي في داخل البلاد وخارجها وهو من اختصاص وزارة التعليم العالي ، واعداد المعلمين، والتعليم الشعبي .

١ ـ فالتعليم العام .. يبدأ بمدارس الحضانة ورياض الاطفال ، وينتهي بنيل الطالب شهادة الدراسة الثانوية التي تؤهله دخول الجامعات داخل المملكة وخارجها ، ويغطي هذا التعليم كل بقاع المملكة بلا استثناء ولا يتسع المجال لحصره .

٢ ـ والتعليم الفني .. ويشمل المدارس الصناعية والتجارية والزراعية ، التي تخرج اعدادا كبيرة من الفنيين لتغطية حاجات البلاد المتزايدة منها .

٣ ـ والتعليم الجامعي .. ويتم في داخل البلاد وخارجها وتشرف عليه وزارة التعليم العالي التي بذلت نشاطا خارقا في هذا الميدان ، وقد اصبحت الجامعات والكليات تغطي مساحة هائلة من الاختصاصات بالكم والنوع وهي على النحو التالي حتى عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م :

اولا .. جامعة الرياض ومقرها الرياض وتتألف من اثنتي عشرة كلية هي : الآداب ، والعلوم ، والتجارة ، والصيدلة ، والزراعة ، والهندسة ، والتربية ، والطب ، وطب الاسنان ، وعلوم التمريض . ويتبعها كلية التربية في أبها ، ومعهد اللغة العربية .

ثانيا .. الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة وفيها خمس كليات هي : كلية الشريعة ، كلية الدعوة واصول الدين ، كلية القرآن الكريم والدراسات الاسلامية ، كلية اللغة العربية والآداب ، وكلية الحديث الشريف .

ثالثا .. جامعة البترول والمعادن بالظهران وتحتوي على اربع كليات هي : كلية العلوم الهندسية ، وكلية الهندسة التطبيقية ، وكلية العلوم ، وكلية الادارة الصناعية .

رابعا .. جامعة الملك عبد العزيز بجدة ومكة المكرمة والمدينة المنورة وتتألف من ثماني كليات ومعهدين هي : كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، كلية التربية ، كلية الاقتصاد والادارة ، كلية الآداب والعلوم الانسانية ، كلية العلوم ، كلية الطب ، كلية الهندسة ، كلية التربية بالمدينة المنورة ، ومعهد الجيولوجيا التطبيقية ، ومعهد الارصاد الجوية .

خامسا .. جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية في الرياض والقصيم وابها وتشتمل على معهدين وست كليات هي : المعهد العالي للقضاء ، المعهد العالي للدعوة الاسلامية ، كلية الشريعة ، كلية اللغة العربية ، كلية اصول الدين ، كلية الدراسات الاجتماعية ، كلية الشريعة واللغة العربية بالقصيم ، كلية الشريعة واللغة العربية بأبها .

سادسا .. جامعة الملك فيصل بالدمام والاحساء وتضم اربع كليات هي : كلية الطب والعلوم الطبية ، كلية العمارة والتخطيط ، كلية العلوم الزراعية ، كلية العلوم الزراعية والاغذية، كلية الطب البيطري والثروة الحيوانية.

سابعا .. ويتبع ذلك الكليات العسكرية ، وغيرها وهي :

ـ كلية الملك عبد العزيز الحربية بالرياض .

ـ كلية قوى الامن الداخلي بالرياض .

ـ كلية الملك فيصل الجوية بالرياض .

٤ ـ الكليات المتوسطة ومراكز العلوم والرياضيات وهي تتبع لوزارة المعارف وتتألف من خمس كليات متوسطة في كل من الرياض ومكة المكرمة والقصيم والمدينة المنورة وابها ، ومهمتها اعداد معلمي المرحلة الابتدائية الجدد ، واعادة اعداد القدامى منهم . وكذلك يتبع لوزارة المعارف مركزان للعلوم والرياضيات احدهما بالرياض والآخر بالدمام .

٥ ـ واما التعليم الشعبي .. فهو يقوم على مدارس مكافحة الامية لدى كبار السن وذلك خلال مدة يتبعها المسن لا تتجاوز السنتين . والامر معقود على امل محو الامية خلال السنوات القليلة القادمة باذن الله .

هذه الثورة التعليمية الشاملة خلقت اجيالا من العلماء والمثقفين والادباء والشعراء والقصاصين الذين راحوا يغمسون اقلامهم في مداد قرائحهم ويصوغون ادبا وفكرا يحمل سمات المرحلة الحالية التي يعيشونها ، وينسجم بتطلعات شعب بأكمله نحو المستقبل الكريم ويصور آماله ويرسم أحلامه في رؤى تتناسب مع البناء النفسي والروحي والفكري من خلال الموقع الذي حدده له المجتمع وتعاليم الدين الاسلامي من هذه الحياة ، ثم يتخذون من خلال هذه المواقع ، مواقف ايجابية تحدد شكل رؤيتهم لهذه الحياة

التي لا تعدو كونها دار اعداد يعملون فيها لاصلاح آخرتهم التي لا تصلح الا بصلاح سابقتها .

اجيال مؤمنة بالله ورسوله بعيدة عن شوائب الحضارة وترفها وغيثانها ، بفضل قاعدة روحية دينية راسخة الجذور تعززها الاسرة والمجتمع وتدعمها الدولة ونظمها ، هذه الاجيال الصاعدة سلم المجد ، والتي سيسعدنا ان ندرس انتاجها فيما سيعقب ذلك من مقالات .

المكتبات والنوادي الادبية

لقد عرفت المدينتان المقدستان ، مكة والمدينة ، المكتبة في القرن السادس الهجري حين امر ملك اليمن نور الدين بن صلاح الدين الرسولي سنة ٥٩٤هـ/١١٩٧م ، بانشاء رباط بمكة ، اوقف فيه كتبا كثيرة منها المجمل لابن فارس ، والاستيعاب لابن عبد البر . ثم راحت الكتب تتزايد في مكتباتها حتى يوم الناس هذا .

ثم تتابع بعد ذلك اقامة المكتبات في المدينتين الحجازيتين حتى عد صاحب « مرآة الحرمين » ثماني عشرة مكتبة في المدينة المنورة في اوائل القرن الرابع عشر الهجري/العشرين الميلادي . ولعل افضل مكتبة فيها هي مكتبة « عارف حكمت » التي بلغت مخطوطاتها اربعة آلاف وخمسمائة مخطوط ، ومطبوعاتها الفين ، وجميعها من الكتب النادرة . اما فيما عدا هاتين المدينتين فلا نجد اثرا للمكتبة قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في اية رقعة من انحاء الجزيرة العربية .

الا ان المكتبة بمفهومها العصري الحديث ، لم تعرف في الجزيرة الا بعد قيام المملكة العربية السعودية ، وبعد ان تكونت وزارة الحج والاوقاف ، اذ اهتمت بشؤون تنظيم المكتبات ، فجمعت الكتب في مكتبتي الحرم بمكة والمدينة وجردت محتوياتها وثبتتها في سجلات رسمية ، وفرغت لهما الموظفين المختصين للعناية بها .

اما في نجد فقد نبتت بذور المكتبة في قصور الامراء ، فقد تجمع في مكتبة المفتي محمد بن ابراهيم وغيره اعداد كبيرة من الكتب . وانشأ الامير مساعد بن عبد الرحمن ، اخو الملك عبد العزيز اول مكتبة عامة بالعاصمة سنة ١٣٦٣هـ/١٩٤٣م وخصص لها جناحا للمطالعة مستقلا في قصره ، وأباح لكل راغب بالاستزادة من علمها ، وبذلك خطا الامير مساعد الخطوة الاولى في انشاء المكتبات العامة في المملكة العربية السعودية كلها ، وكل شيء يبدأ بالخطوة الاولى ، وهكذا فتح الباب على مصراعيه امام المكتبات . ثم توالى بعد ذلك اقامة المكتبات الخاصة والعامة ، كالمكتبة السعودية بالرياض ، ومكتبة امانة مدينة الرياض بحي الملز ، حيث نقلت مقتنياتها الى دار الكتب الوطنية عام ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م بعد ان اخذت جامعة الرياض مبانيها .

وتعتبر دار الكتب الوطنية من احدث المكتبات في المملكة العربية السعودية حيث روعي في انشائها جميع الشروط الفنية والتنظيمية والفهرسية في المكتبات العالمية الحديثة منذ لحظة افتتاحها سنة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

ثم اخذت وزارة المعارف على عاتقها انشاء المكتبات في اكثر انحاء البلاد واصقاعها المترامية وخصت مدارسها التي يصعب حصرها كلا بمكتبة تفي بمتطلباتها وحاجاتها من كتب ومصورات ووسائل ايضاح ومخابر تنهض بانجاح العملية التعليمية على احسن وجه .

واما المكتبات الضخمة فهي تلك التي تعهدتها وزارة التعليم العالي برعايتها ، وزودت فيها الجامعات على كثرتها ، وخصت بالتالي كل كلية بمكتبة خاصة تتناسب مع اختصاصها وحاجاتها واستيعابها ، بالاضافة الى المخابر اللغوية والعلمية على اختلاف مناحيها ، وزودتها بأحدث المؤلفات والآلات وطرق الايضاح والتعليم في العالم ، بالاضافة الى اكفأ اجهزة ادارية تقوم عليها وتسهل سبل الاستفادة منها ، وتعتبر مكتبة جامعة البترول والمعادن بالظهران (ارامكو سابقا) احدث مكتبة في الوطن العربي والعالم الاسلامي قاطبة ، وتدار على افضل الطرق المتبعة في امريكا والعالم المتحضر ، ويشرف عليها حذاق ومهرة هذا العلم المستحدث في العالم ، وتشتمل على الكتب بطرق المكتوب ، والمقروء ، والمسموع ، والتصوير ، باللغات المطلوبة ، ومزودة بالافلام والصور والآلات واجهزة النسخ والتصوير والقراءة في كل جناح من اجنحتها وفرع من فروعها ، ومزودة بجناح تحفظ فيه كل الرسائل المعدة لنيل الدرجات العلمية منها .

وكذلك مكتبات النوادي الادبية الست المقامة على ارض المملكة والتي لا تهتم بجمع الكتب وتنسيقها فحسب بل تشرف على طبع كتب الادباء الاعضاء ونشر انتاجهم الادبي والفكري واصدار الكتب الدورية عن نشاطها والمناسبات الوطنية والقومية والدينية .

وهكذا نستنتج مما تقدم ان ظاهرة المكتبة عريقة الوجود في المملكة العربية السعودية وقد تطور مفهوم هذه الظاهرة مع الزمن ، ولكنه تقفز هذه القفزة الجبارة على يد الادارة السعودية ليقف في مصاف المكتبات العالمية في هذا الميدان على صعيد واحد ، بعد سلسلة من التطورات الزمنية والاحقاب المرحلية التي انسجمت مع تطور عقلية ابنائها في كل اعصر الزمان . ومن الملاحظ من خلال ما سبق ان المكتبات في المملكة العربية السعودية تتبع ادارات مختلفة حسب اختصاصاتها .

ـ فمنها ما يعود الى وزارة الاوقاف والحج ، كمكتبة الحرمين في مكة المكرمة والمدينة المنورة .

ــ ومنها ما يتبع وزارة المعارف كمكتبة دار الكتب الوطنية بالرياض ، ومكتبات الاقاليم الاخرى كمكتبة بريدة وعنيزة وغيرها ، ومكتبات المدارس المنتشرة في كل حي وحدب وصوب .

ــ ومنها ما يتبع وزارة التعليم العالي كمكتبات الجامعات والكليات حسب اختصاصها ومكان وجودها .

ــ ومنها ما يتبع ادارة الفتوى كالمكتبة السعودية بالرياض وغيرها .

ــ ومنها المكتبات الوزارية والحكومية، وهي مكتبات خصوصية ، لانها ليست مفتوحة لسائر المواطنين وليست ملكا للجميع بل هي مكتبات ذات اختصاص معين يشتمل على الكثير من القوانين والقرارات والتشريعات بالاضافة الى المواد والكتب والمراجع الخاصة حسب الحاجة والاختصاص .

ــ ومنها مكتبات تابعة لرعاية الشباب كالمكتبات التي تخص النوادي الادبية وغيرها .

ــ ومنها المكتبات الخاصة التي تعود لافراد يحتفظون بها في بيوتهم ومكاتبهم ، وهي ظاهرة صحية تدعو للتفاؤل والسرور ، اذ يتسابق المواطنون لاقتناء الكتب واقامة المكتبات وتنويعها وتزويدها بكل جديد نافع وهي سمة مميزة للشباب على ارض المملكة العربية السعودية ، ويصعب حصر هذه المكتبات وعدها .

ومهما يكن من دوافع انشاء هذه المكتبات العامة والخاصة ، فلا بد من الاعتراف بفضلها في تثقيف الناس على مر العصور ورفع مستوياتهم الفكرية والادبية . اما وقد اخذت الدولة السعودية على عاتقها فتح ابواب العلم والمعرفة على مصاريعها امام جماهير المواطنين بمختلف طبقاتهم دون تمييز ، فانها بذلك تقوم بأشرف واجب في دفع المجتمع العربي السعودي في طريق الهداية والنور والتفتح والتلاقح مع الحضارة الانسانية والتقدم والارتقاء . وقد انعكس هذا كله على افكار الجيل السعودي من الرواد والشباب والشابات الذين نطالع انتاجهم كل يوم من فكر وادب وشعر رقيق اصيل . ويكفي ان نلقي نظرة على المطبوعات الغزيرة الجديدة للادباء السعوديين لنعرف مدى تأثير المكتبة والثقافة في هذا الجيل العتيد الذي يموج بالخصب والعطاء والاصالة المرتكزة على قاعدة صلبة من الايمان بالقيم الاسلامية والخلق القويم ، فتفجر زحف الحركة الادبية على ارض المملكة العربية السعودية بأدب جاد رصين هادف يحمل نصاعة الديباجة ومتانة الخلق وصلابة الايمان وطهارة الروح ونظافة النفس بفضل التربية الموجهة ومكابح المجتمع التي تشد عند اللزوم بالدعوة الى المعروف والنهي عن المنكر بعيدا عن قرف القشرة الحضارية ، والعري الروحي والغثيان الهمجي لبعض معطياتها السلبية الذي نلمسه في انتاج بعض دعاة الادب في اقطار اخرى .

كل ذلك تمخض عن زحف المكتبة السعودية لتشق طريقها وسط المكتبات العربية في الاقطار العربية الاخرى لتحتل مكانا متميزا من رفوفها على الرغم من ذلك السيل الجارف من المطبوعات التي تحوي الغث والسمين والذي علينا ان ندقق فيه قبل عرضه لما يحويه من سموم وحملات ظالمة على تراث العروبة والاسلام ، وتعتبر المملكة العربية السعودية الدولة العربية الاولى التي تنبهت لهذه الاخطار الجسيمة التي تهدد التراث والروح والعقيدة ، فاستجابت بحس ديني اصيل لمراقبة هذا السيل الطاغي فمنعت وسمحت ، وقدمت بالتالي البديل من عيون التراث وما يتناسب مع حاجاتها بما لا يتعارض مع التعاليم السمحاء ، فأخذت مطبوعاتها تحتل المكانة اللائقة على رفوف المكتبات العربية المختلفة ، في داخل المملكة العربية السعودية وخارجها ، وتعمل الدولة جادة الى تأمين مختلف مراحل الطباعة بأنواعها محليا لتسهل على الادباء والمفكرين نشر انتاجهم بيسر وسهولة .

وفي يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر صفر عام ١٣٩٥ هـ / الحادي والعشرين من شهر مارس ١٩٧٥ م اثناء اجتماع مؤتمر احياء سوق عكاظ الذي دعا اليه الامير فيصل بن فهد بن عبد العزيز الرئيس العام لرعاية الشباب، مع عدد كبير من الادباء السعوديين في مدينة الرياض ولدت فكرة تأسيس الاندية الادبية المنظمة والمسؤولة والمدعمة بكل الامكانيات المادية والمعنوية وهي : نادي جدة الادبي ؛ نادي الرياض الادبي ، نادي المدينة الادبي ، نادي مكة الادبي ، نادي جيزان الادبي ، نادي الطائف الادبي . تعمل هذه الاندية على تطوير رسالة الادب وتنهض مسيرته المظفرة معتمدة على تعاون اوثق بين الدولة والادباء والتي يرعاها بشكل جاد عاهل المملكة العربية السعودية الكبير الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود ، فحصلت على الاذن الرسمي رقم ١١/٤٢٣/١١/١/٣ تاريخ ١٣٩٥/٢/٢٩ هـ . وقد جاء في بيان نادي جدة الادبي الاول «ان الهدف الاساسي العام للنادي هو العمل الجماعي المشترك على رفع مستوى الفكر والادب هنا وتثبيت قيمة الادباء السعوديين في الخارج، وترقية العلاقات السامية بينهم وبين زملائهم هناك ، بوسائل انسانية ، وفنية ، واجتماعية تشمل تبادل الزيارات لتوكيد الصداقة ، وتبادل العون الادبي والمادي ، ونشر المؤلفات الجيدة للكتاب السعوديين الذين قد تكون لهم ظروف تعوق النشر ولا سيما الشبان من الصاعدين والصاعدات من الفئات النامية » .

وهكذا حذت بقية النوادي ، وبدأ انتاج اعضائها الادبي والفكري يتدفق على المكتبات ويزين رفوفها بكل جديد وناضج مشكلة رافدا ثرا من روافد الادب والحركة الادبية

في المملكة العربية السعودية ، وانفتحت بذلك الابواب امام الادباء الشباب لينشروا انتاجهم على الملأ ويسهموا بدفع عجلة الادب والفكر على ارض جزيرة العرب لتعود مصدرا للاشعاع الفكري ، الذي ايقظ العالم يوما على وقع رسالة محمد السماوية عليه صلوات الله وسلامه ، فأخرجت الدنيا من الظلمات الى النور ومزقت ستر الباطل وهتكت سجف الضلالة وحطمت الاوثان ودعت الى وحدانية الله ، والمساواة بين الناس ، وشرعت لهم ما ينظم دنياهم ويحفظ آخرتهم .

وهكذا تكون المكتبة والنوادي الادبية في المملكة العربية السعودية قد ساهمت بقسط وافر وكبير في دفع الحركة الادبية هناك بحدة واصرار ، ووفرت للادباء من الشباب والشابات المراجع التي يعبون منها ويعتلون ، كما وهيأت لهم الفرصة للعطاء والتأليف وبالتالي نشر هذا الانتاج ، وهي فرصة ذهبية غير متاحة لغيرهم من الادباء في بقية الاقطار الاخرى من امتنا العربية ، الذين يعانون الكثير الكثير من مأساة نشر انتاجهم والذي ربما مات في عتمة الجوارير وتحت غبار الزمن يشكو الاملاق او البوار على اعتاب دور النشر في اكثر الاحيان . فهنيئا لاخواننا الادباء على ارض المملكة العربية السعودية هذا الاهتمام بهم وبانتاجهم من مختلف المؤسسات الحكومية والاجتماعية العامة والخاصة ، وانا لنأمل ان يزودونا كل يوم بالجديد الطريف ، فهذا عزاؤنا وغاية منانا .

الطباعة وصناعة الكتاب

لقد تأخر ظهور الطباعة في الجزيرة العربية حتى اوائل الاخير من القرن التاسع عشر الميلادي وذلك حين استحضرت الحكومة العثمانية مطبعة تدار بالقدم وذلك سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م ، ثم استحضرت بعد ذلك مطبعة متوسطة ، وبعد عدة سنوات من ذلك التاريخ جلبت مطبعة حجرية سمتها المطبعة الاميرية ، وفيها كانت تطبع جريدة الحجاز المكية .

وفي اثناء الحرب العالمية الاولى صادرت تركيا مطبعة زحلة الفتاة ونقلتها الى الحجاز لتدعم المطبعة الاميرية وفي سنة ١٩١٩ م اسس الشريف حسين مطبعة صغيرة في مكة المكرمة لطبع جريدة القبلة . ولكن هذه المطابع كانت بدائية لا تفي بالغاية المرجوة من وجودها .

ولكن الامر تغير حين استتب الامر للملك عبد العزيز آل سعود ، ففي اول الامر استصلح مطبعة جريدة القبلة واطلق عليها اسم مطبعة ام القرى ، واستحضر لها عددا من خبراء الطباعة العرب وذلك سنة ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م وعقد معهم اتفاقا لتعليم بعض الحجازيين هذا الفن وتدريبهم عليه . وكانت الخطوة الثانية للعاهل الكبير حينما ارسل سنة ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م سبعة عشر موفدا الى مصر ليتدربوا على فن الطباعة في مطبعة بولاق ، واردف ذلك بادخال تحسينات على هذه المطبعة الاخيرة حتى اصبحت تساير ارقى المطابع في ذلك الحين ، وقد اصدرت الحكومة السعودية قرارا بتبديل اسمها من مطبعة ام القرى الى مطبعة الحكومة . وبدأت تهتم بالمطبوعات الحكومية الرسمية ، ومجلة الحج ، والتقويم السنوي ، والانظمة ، والتعليمات بالاضافة الى جريدة ام القرى . ثم تلا ذلك انشاء اول شركة عربية للطباعة والنشر في المملكة العربية السعودية باسم « الشركة العربية للطبع والنشر بمكة » اذ اخذت على عاتقها طباعة جريدة « البلاد السعودية » وكافة المطبوعات التجارية ، ومن ثم بدأت تطبع مجلة المنهل .

وفي اثناء ذلك ايضا تم انشاء مطبعة جريدة المدينة المنورة سنة ١٣٥٦هـ/١٩٣٦م وهي مطبعة اهلية يتم فيها طبع الجريدة المذكورة بالاضافة الى المطبوعات والاوراق الحكومية .. ثم توالى بعد ذلك انشاء المطابع ففي جدة تم انشاء مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر ، وهي مطبعة حديثة بكل امكانياتها الفنية وعمالها المؤهلين ، وبدأت عملها سنة ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م واستطاعت ان تقوم بأعباء طباعة كافة الاوراق والمطبوعات الحكومية ، والتجارية ، والصحفية ، كمجلة الاذاعة ، ومجلة الحج ، والاضواء ثم المنهل ، واخيرا جريدة الرياض المصورة . وقد جهزت بآلات جمع الورق المعروفة باسم الليونيت . وفي الرياض تم بعد ذلك انشاء اول مطبعة حديثة وذلك سنة ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م . وتوالى بعد ذلك انتشار المطابع في عواصم المملكة العربية السعودية التي نشطت الحركة الادبية فيها ، بما قدمته من تسهيلات يومية في طباعة الصحف اليومية والاسبوعية والنصف اسبوعية والمجلات الكثيرة مما دعا الى وجود رعيل كامل من الادباء يملؤون صفحات هذه الجرائد والمجلات بما يدبجون من مقالات دينية وادبية واجتماعية وعلمية واخبارية وسياسية واقتصادية وابحاث فكرية وتربوية وفقهية ولغوية ، وقصائد شعرية ، وقصص نثرية وما الى ذلك من نشاطات قلمية اخرى ، وبالتالي فقد ترتب على ذلك ظهور حركة نقدية ادبية فكرية تغربل هذا الانتاج الغزير الذي راح يهمي كالسيل ويحتل مساحات كبيرة من هذه الصحف والمجلات ويملأ مساحات لا يستهان بها من رفوف المكتبة العربية السعودية بتوالي الايام وتعاقب الشهور .

ان للمطبعة السعودية فضل كبير على الادب ، لانها ساعدت على طباعة ونشر الانتاج الادبي المحلي وافشاء المعرفة واذاعة الثقافة بين الناس ، واعطاء صورة صادقة عن نهضة البلاد ونقل صورة حقيقية عن تقدم المملكة العربية السعودية في مختلف الميادين الفكرية والادبية والاقتصادية والاجتماعية والتنظيمية والسياسية والدينية التي تبقى

كنت اهواها

رأوني ارشف الماضي من نور محياها
وقد ولى زمان الحسن والحب الذي تاها
وسيل « عصيفر »(١) يجري غزير الماء تياها
وفوق رصيف شارعه جلست اعب مرآها
واقرأ فوق جبهتها حكايات كتبناها
واشواقا نظمناها واشجانا رويناها
وفي عيني ما برحت تثير الوجد عيناها
وقد وقف الزمان بنا فما شبنا ولا شاها
فلا تستغربوا ولعي فاني كنت اهواها

عصيفرة — تعز　　　علي محمد لقمان

(١) — عصيفر : اسم واد في تعزص.ب. رقم ٤٨٠٦ تعز

المحور الذي تستند عليه القاعدة الاخلاقية لاي انتاج فكري على ارض المملكة العربية السعودية .

وفي السنوات العشر الماضية قفزت الطباعة في المملكة قفزات جبارة لتغطي انفجار الثورة التعليمية على مختلف مستوياتها في كافة انحاء البلاد ، فاستوردت الحكومة السعودية احدث المطابع الآلية في العالم بأعداد كبيرة وممتازة ملونة ومصورة وانفقت المبالغ الخيالية في هذا المجال ولم تأل جهدا في رفع كفاءة المطابع ، وهي ساهرة على دفع حركة الطباعة والنشر في المملكة الى الامام فسنت القوانين والتشريعات التي تنظم شؤونها وتكفل سير عملها وتحرص على تقدمها المطرد ، ولم تغفل عن مراقبة ما يتم طبعه فيها حرصا منها على مصلحة الوطن والمواطن وسلامته العقلية والروحية من سقيم القول وغث الكلام . ولكي تبقى ضمن المخطط الرسمي الذي اختطته الدولة لها في حدود بينها القانون .

رافق ذلك جانب مهم من جوانب الطباعة الا وهو جانب صناعة الكتاب الذي يعتبر جزءا متمما لها ، فقد ارتقى موضوع صناعة الكتاب في المملكة ليساير ركب الحضارة فيها في مختلف الميادين ، فقد اصبح يتم اخراج الكتب بأبهى الحلل واجود الطباعة وانتقلت العدوى الى الصحف والمجلات خاصة ، واستعمل فيها ارقى انواع الورق واحدث وسائل التلوين فبزت مثيلاتها في الوطن العربي الكبير .

كل هذه العوامل متضافرة — الاعلام ، والتعليم ، والمكتبات ، والطباعة — خلقت جوا مناسبا ومناخا ملائما لقيام حركة ادبية رائدة على ارض المملكة العربية السعودية ، فشحذت القرائح واثارت الهمم وحركت الخواطر والهمت المشاعر ، فتهيأت الفرص الملائمة للاديب كي يبدع ويعطي من فيض خاطره وومضات فكره وخلجات روحه وخفقات قلبه ، فماذا كتب ؟ . وكيف عبر ؟ . وما هي المواضيع التي طرقها ؟. اهي تقليدية ؟. ام تجديدية ؟. وما هي الاشكال الادبية التي اختارها ليصب فيها عصارة فكره ؟ . وما هي المناهل التي رادها واعتل منها ونهل ؟ . وما هي الينابيع التي صدف عنها وابتعد ؟ . هل ابتكر وجدد في الشكل والمضمون ؟ . ام ظل ينسج على منوال من سبقوه ؟ .

هذه اسئلة واخرى غيرها ، سنحاول ان نجيب عليها فيما سيعقب ذلك من دراسات باذن الله .

دمشق　　　علي المصري




فاضل السباعي

خواطر في ظل زمن متجمد

بقلم فاضل السباعي

* * *

ان تسافر بالسيارة من حلب الشهباء الى دمشق الفيحاء ، او من المدينة المنورة الى مكة المكرمة ، قاطعا الطريق بساعات اربع او خمس او ست ... فأنت ان انطلقت في الساعة السادسة مثلا ، بلغت غايتك في العاشرة ، او الحادية عشرة ، او الثانية عشرة ، حسب التوقيت المحلي . تلك عملية حسابية بسيطة !

ولكني ارى الامر قد اختلف عندي اختلافا بينا . في سفري هذا ، الذي لم اتحلل بعد من وعثائه .

انه ، حقا ، لعجيب ان تقلع بك الطائرة في ساعة من ساعات النهار ، من مطار ما في احدى العواصم ، فتقطع بك الفيافي والقفار ، بل لنقل : انها اجتازت بك محيطا رحيبا ، طوال ساعات وساعات ... فلما حطت بك ، في البلد الذي تقصد اليه ، وقعت عينك على ساعة المطار ، فاذا عقاربها تشير الى الساعة ذاتها التي غادرت بها مطارك الاول ! فكأن عقارب الساعة قد توقفت عن الدوران ، او كأن الزمن قد تجمد خلال ساعات الطيران . . .

وهل يتجمد الزمن ؟

امس ساورني اعتقاد بأن الزمن قد تجمد عندي سبع ساعات !

اقلعت بنا الطائرة من « مطار شارل ديغول » في باريس ، وساعة المطار — ومثلها ساعتي — تشيران الى السابعة مساء . اجتازت بنا المحيط الاطلسي باتجاه القارة الامريكية ، طوال سبع ساعات . فلما حطت في « مطار كندي » في نيويورك ، كانت عقارب ساعتي تشير الى الثانية بعد منتصف الليل ، ولكني رأيتها في ساعة المطار تشير — ما تزال تشير — الى السابعة من مساء اليوم الذي انقضى !

في البيت ، الذي نزلت فيه في حي « بروكلن » ، دعيت ، في الساعة التاسعة ، الى تناول طعام « العشاء » ... قلت وانا اتطلع الى ساعتي :

— قد تعشيت في الطائرة . أتريدونني ان اتناول وجبة في الساعة الرابعة بعد منتصف الليل ؟ انه « السحور » اذن !

ضحكوا وقالوا :

— ذلك عشاؤك الباريسي . والآن تحين ساعة عشاء نيويورك !

تجمد الزمن عندي سبع ساعات فطال يومي هذا ساعات بعددها ، فتعين علي ان اتناول وجبة يومية رابعة !

في منتصف الليل ، قام الجميع الى النوم . قلت لهم :

— لو اني كنت الآن في باريس ، لنهضت الساعة من نومي . فانها السابعة صباحا !

لم استطع النوم ، رغم حاجتي الى النوم .

ثم اني غفوت ...

ولكني صحوت ساعة الفجر ، وكأن يدا ايقظتني .

ها هي ذي الشمس الازلية تطل علي ، عبر النافذة العريضة . أراها ، وانا في سريري ، من خلال قمم الاشجار السامقة ، مقبلة الي عبر المحيط الاطلسي . لقد اشرقت على باريس قبل سبع ساعات ، واشرقت قبلها على اهلي في دمشق . صباح هنا ، وصباحان قبله هناك وهنالك ، وفرق الساعات بين هذه الاصباح ، هو الذي جمده سفري نحو الغرب .

تساءلت : ترى الم تفقد الشمس ، في اجتيازها هذه

امــاه

أماه ... أول مـا يفوه فمي ... ونشيد حـب رائـع النغـم
فيـه مـن الشكوى حلاوتها ... ومـن القساوة رقـة الالـم
حـب يمـازج كـل عاطفـة ... بـين الجوانح راسخ القيـم
أماه ... يـا نغما على شفتي ... عـذب المقاطع راقص الحلـم
رمـز المحبـة فيـك مكتمـل ... وقداسـة الايمـان والحكـم
أعطـى حنانـك كـل أمنيـة ... أهفـو لهـا بفؤادي السقـم
يـا روعـة الدنيـا وبهجتهـا ... يـا صورة الالهـام في قلمـي
روح الفضائـل منـك آتيـة ... وعلـى يديك حضارة الامـم
تهبـين عمـرك دونمـا أمـل ... يجزى ، وذلـك غايـة الكرم
قـد خصـك الرحمن منزلـة ... محفوظـة الحرمات في الذمـم
تتكرمـين وكـل مكرمـة ... تترافعـين بهـا الـى القمـم
أماه ... يـا نفسا أردده ... ... حتـى يفارقني الـى العـدم
صـوت يؤجـج نـار عاطفتي ... فـوق المحبـة ساكن بدمـي

حماه ــ سورية ... وليد حجار

الآفاق المديدة ، شيئا من دفئها وحنانها ، في هذا الربيع الطالع ؟

قلت : ان الزمن قد « تجمد » عندي ساعات سبعا .

ولكن الامر لم يكن ، في الواقع ، كذلك .

ما كان هو اني ، في سفري غربا ، باتجاه مسيرة الشمس ، قد أسلفت سبع ساعات . ولسوف يتعين علي ان ارد هذه « السلفة الزمنية » يوم عودتي الى المشرق .

في ذلـك اليوم الآتي ، في اتجاهي عكس مسيرة الشمس ، سأخسر اربـع عشرة ساعة . لسوف ارى عقارب الساعة في مطار الوصول ، وهي تؤكد لـي ان السلفة الزمنية قد استردت . وعندئذ ، لا اكون كسبت زمنا ولا خسرت . والوجبات الاربع ، التي تناولتها ذات يوم ، ستنخفض في يوم آت الى وجبتين اثنتين .

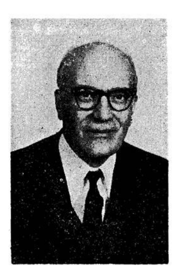
اذن ، فالزمن ، في ذلك اليوم الذي مضى ، لـم يتجمد عندي .

ولكن الزمن ــ فيما اعلم ــ يتجمد عند الامم التي تسكن فيها رياح التطور والتغيير . وتجمد الزمن يعني التراجع والتخلف .

ومن الامم من يسرع في خطوه الى الامام ، مذللا الصعاب ، متجاوزا العقبات ، مسابقا الزمن . وكذلك فعلت أمتنا حين هبت عليها رياح التغيير ، فملكت روحا جديدة ، اتجهت بها غربا باتجاه مسيرة الشمس ، وشرقا بالاتجاه المعاكس لمسيرة الشمس ، ففتحت البلاد ، ونشرت لغة وقيما ما تزال ضاربة بجذورها حتى الاعماق في كل مكان اشرقت فيه شمس العروبة والاسلام .

واليوم ، كم علينا ان نفعل حتى ننهض من كبوتنا ، فنستعيد تلك الروح الوثابة متآلفة مع روح العصر ، وقد ملكنا الطاقة البشرية والمادية ، والارض والموقع ، فضلا عن ارادة التغيير ، وذلك جل ما تطمح اليه الامم الراغبة في النهوض والاسهام في بناء صرح الحضارة الانسانية .

نيويورك ... فاضل السباعي



سعيد ابو الحسن

سعيد ابو الحسن من خلال شعره

بقلم اسماعيل عامود

* * *



الدخول في عالم كاتب متنوع الانتاج الادبي من قصة ومقالة وشعر وخواطر يكون في الغالب صعبا الى حد ما ، وربما خطرا . ذلك عندما يكون القصد من هذا الدخول سبر واقع انتاجه ، ثم اعطاء هذا الواقع درجات معينة ذات ارقام صحيحة ، على ارضية الادب والنقد الادبي معا ، او رصد ما اعطاه — هذا الكاتب — من مواضيع انتجها فكره ، وقدمها الى الحياة الثقافية حتى يتمكن القارىء المثقف او الناقد الادبي من معرفة المكان الذي يقف فيه المؤلف من القضايا الادبية ، والمستوى الذي وصل اليه في سلم الابداع .

وقد لا اكون وجلا او في وضع مربك عندما اتحدث — الآن — عن الاستاذ « سعيد ابو الحسن » بالرغم من انتاجه الادبي المتنوع الاشكال المتعـدد الاساليب ان في الشعر او في المقالة او في القصة او في الخاطرة الادبية والاجتماعية والسياسية ... مسافة اكثر من ربع قرن من الزمان ... ذلك لانني عرفت هذا الاديب عن كثب وكان لي شرف النشر في المجلة التي اصدرها — مع لفيف من الادباء والكتاب — في مدينة القامشلي اوائل الخمسينات وكان اسمها « الخابور » ثم قلب اسمها الى « المواكب » كما كان لي شرف اللقاء الادبي معه في دمشق في اوائل السبعينات عندما عـين معاونا لوزير الاشغال العامة والثروة المائية في القطر العربي السوري — ولا يزال حتى تاريخ كتابة هذه السطور — تلك المعرفة التي حفزتني ، بل حرضتني ، على الدخول في عالمه كاديب انتج العديد من القصائد الشعرية ، والقصص القصيرة ، والمقالات الاجتماعية ، والقانونية والسياسية ، والخواطر الادبية ، والترجمات لشعراء فرنسيين نشرهـا في الدوريات ولا يزال ، واخرج منها في كتب مطبوعة — كما سنرى — .

بيد ان المتتبع لما نشره هذا الكاتب منذ بدايات المرحلة الابتدائية عام ١٩٢٤ — ١٩٢٥ الى يومنا هذا — لا بد له ان يسأل عن تلك الطاقة الفكرية او الكتابية الهائلة التي يختزنها هذا الرجل الفذ في فكره وعقله ، وعن تلك القدرة القوية في الاستمرار بالانتاج الادبي ، وعن هذه الاستطاعة في ولوج اكثر من نوع من انواع الكتابة .

صحيح ، ان هذا الكاتب سعيدا ، لم تتناوله اقلام النقاد — عندنا — عبر اكثر من جيلين منذ بدئه في نشر اعماله على الناس ، كي يصبح من المشهورين جدا . ولم يأخذ حقه من التعميم الادبي في جيلي — الوسط — والمعاصر الراهن ، في الخمسينات وحتى السبعينات القائمة ، فذلك مرده الى ان الرجل ، بتواضعه الجم ، ورغبته في عدم الظهور ، لا يحب الشللية ، ويمقت (العراضات) الادبية ، قد أدى به — اي هذا السلوك الاخلاقي الرصين الرائع ، وهو الذي كان باستطاعته جمع ما يريد حوله من المطبلين والمزمرين — الى هذا الوضع من الشهرة ، شأنه شأن كل عبقري ومخلص يعمل بصمت ويتحرك بهدوء يقينا منه ان — الاعمال الجيدة تبقى وتعيش الى الابد ، ولا بد من يوم سيأتي ومعه الحق والخير والجمال .

وصحيح ان نقادنـــا العرب — حتى يصلوا الـــى الحقيقة — لا بد لهم من مسح عام لجميع الاعمال الادبية التي على ارض الوطن ، والا سيظلون في وضعهم الضيق . وان اجادوا بعض الاجادة فيما قدموه عن بعض الاعلام او المشهورين اسميا لكثرة مـــا رددوا عـــن اصحابهم والمقربين .. تاركين وراءهم الاعمال الادبية الهائلة التي انتجها اولئك الافذاذ الذين يعملون بصمت وسكون امثال الاستاذ سعيد ابو الحسن .

هذا ، ولما كنت من المهتمين بشعر مرحلة ما بين الجلاءين (جلاء العثمانيين عام ١٩١٨ وجلاء الفرنسيين عام ١٩٤٥) او ما بين الحربين العالميتين الاولى والثانية عن ارض الوطن — العربي السوري — فقد تكشفت لي اعمال ادبية رائعة جديرة بالكتابة عنها تحليلا او عرضا

او تاريخا ، وها انذا اقدم فخورا هذا الانسان سعيد ابو الحسن الى القراء العرب الاعزاء كشاعر .

.. وحسبي ن اكون قد اديت لرجال المرحلة الشعراء منهم — الآن دينهم الذي علي ، او وفيت حقهم على جيلي من خلال قلمي الضعيف وأملي ان يرضى هؤلاء عن اسلوبي ولكن (هذا سويقي ومنه اجدح — كما في المثل العربي) .

وككل شاب طرير يبدأ دربه في الشعر ، بدأ سعيد ، ففي العام الدراسي في المرحلة الابتدائية عام (٢٤ — ١٩٢٥) دون في دفتره المدرسي أولى أبياته الشعرية ثم تابع في المرحلتين الاعدادية والثانوية ، اذ كان لبعض اساتذته المشجعين تأثير كبير في توجيهه الى الكتابة امثال الاستاذين : كرم البستاني وفؤاد افرام البستاني ، في لبنان بين عامي (٣٠ — ١٩٣١) الجامعة اليسوعية ، و في المرحلة الثانوية نظم بعض قصائده باللغة الفرنسية .. اما ما يمكنني ذكره هنا — من شعره فهو الذي نشره بدءا من عام ١٩٣٧ في صحف دمشق الدورية بعد ذلك .. وكمرحلة نضالية كانت البلاد العربية السورية واللبنانية تجتازها ضد المستعمر الفرنسي نرى (سعيد ابو الحسن) ينخرط في صفوفها ليكافح ويقاوم بسلاح الشعر ، في اسلوب انساني نضالي يطالب بالحقوق الطبيعية التحريرية وبالاستقلال الشرعي لشعبه :

سح يا دمع ، حطمت كبريائي — حطمتها مآرب الاعداء
كبريائي .. روحي وينبوع شعري — لهف نفسي عليك يا كبريائي
ويح قلب لم يعرف الذل امسى — وهو ألعوبة بكف .....
ويح نفس تروم كل عزيز — ضاق في وجهها فسيح الفضاء
ويح جسم نجا من الداء كبرا — كيف يغدو فريسة الادواء
كبريائي تحطمت ؟ ذا محال — ذاك حلم قد راقه ايذائي
انا ما زلت موغلا في عتوى — انا ما زلت في أعالي السماء
لن ينال الاعداء مني منالا — **لن يحطوا من قوتي ومضائي(١)**

انها صرخة المظلوم ، ضد المستعمر الظالم ، ضد القهر ، لقد أرادها الشاعر سعيد في البداية ان تصدر ندابة فاختار الدموع كاحتجاج على تحطم كبريائه ولكن ممن ؟ انه العدو الذي أراد لهذه الكبرياء ان تتحطم ؛ وكبرياء من ؟ كبرياء الشاعر الوطنية باحتلال الفرنسيين بلاده في نهاية الحرب العالمية الاولى ، واجتياحهم الارض العربية ، كما اختار الاسلوب الحزين للافصاح عن مرماه ضمن شعور متمرد في تلافيف القصيدة ولكنه مخنوق بسلاسل المحتل ، وتارة متأرجح كألعوبة بكف الاقدار ، وككل مبتدىء شاب لا بد وان ينطلق الشاعر من فرديته ليعبر عن المجموع ، الشعب ، الوطن ، ذلك لان رؤياه للامور لما تتوسع وتأخذ مداها التام بعد ، ولم تتضح التجربة عنده ايضا ، فيأخذ ما هو قريب منه او ملتصق به كقلبه ونفسه وجسمه ادوات ليعبر من خلالها عن مشكلته وتجربته .. وسعيد فعل ذلك في هذه القصيدة ولكن بمستوى مقبول وشبه مقنع ، بيد انه سرعان ما ترك الندب ليقرر في النهاية ان الاعداء لن ينالوا منه — ويعني بلاده — اي منال ما دام قوي الحجة وصاحب حق .. كالوطن .. !

وككل شاعر فتي ، معبأ بالحيوية ، مشحون بالانفعالات ، محمل بالمشاعر القوية والاحاسيس الفياضة نجد سعيد ابو الحسن .. فهو دائما متحفز ، ينتبه الى وضعه كشاب ليستثمره في مجالات خدمة وطنه ، هذا الوطن الذي يريد له السؤدد والمجد ، فيقدم شبابه فداء سيادته وعلاه :

ما شبابي ؟ اذا تماديت في الضعف وصار الخنوع ملء اهابي
ما شبابي ؟ اذا اكترثت لتهديد وأمر من الامور الصعاب
ما شبابي ؟ اذا ثناني عن العزم مصاب يجيء اثر مصاب
ما شبابي ؟ ان لم تكن في عروقي ثورة تغمر الملا بالشباب
ما شبابي ؟ اذا رضيت لنفسي ان تكون السماء فوق طلابي
ما شبابي ؟ ان لم ترافقني الآمال في بسمتي وفي تصخابي
ما شبابي ؟ قولوا اذا حارب الدهر بلادي ولم اضح شبابي
ما شبابي ؟ .اذا قضيت ليالي مكبا على الملاهي العذاب
ونسيت الآلام ، آلام شعب يتلوى على ضرام العذاب
ما حياتي ؟ ما لذتي ؟ ما شبابي(٢)

ان سعيدا يؤمن بالادب الذي يخدم الوطن ، الشعب، وليس العكس ، كذلك يجب ان يكون الشكل خاضعا للمضمون وليس العكس ايضا ، فالمضمون هو الذي يحدد شكل التعبير عنه ، فاذا اردنا التعبير عن ثورة عاصفة فاننا نستعمل الفاظا وجملا تختلف عن الالفاظ والجمل التي نستعملها حين نصف نهرا هادئا ، وكذلك حين نعبر عن عاطفة جياشة بقصيدة فان الوزن والموسيقى يأتيان عفوا وبدون قصد مناسبين لحركة النفس التي تكون — عندك مثلا — حين تجيشد عاطفتك .. لهذا كان التقيد بوزن وقافية كمبدأ لا يجوز التخلي عنه ، وعد مهذا « التقيد » يرفضه سعيد اب والحسن .. وهو يرى ان المضمون هو الذي يتطلب وعاءه ، قصيدة او مقطوعة ذات تفاعيل او مقطوعة ذات وتيرة موسيقية معينة ، او مقالة نثرية مكثفة ، حسب الحال ، وهو ايضا يؤمن بوحدة « القطعة » نثرية كانت او شعرية ، قصة او قصيدة او مقالة .. لقد كان يحلو له ان يشبه القطعة الادبية بالكرة المتينة المتماسكة ، اذا ضربت بها الجدار اخترقته ولم تنكسر ، كان يقول لنفسه حينما ينتهي من قطعة رضي عنها : (تستطيع الآن ان ترمي بها الجدار وانت واثق) .

والسؤال الآن ؟ هل استطاع الشاعر سعيد تحقيق هذا المبدأ ، وهل كيف الشكل لصالح المضمون .. أم انه العكس .. اذن لنقرأ له هذه القطعة الوجدانية التي نجا بها منحى الاسلاف العرب في الاندلس ، بعض الشيء من ناحية الشكل ، واتجه في نظمها جهة الشعراء في المهجر من ناحية المضمون الوجداني مع شيء من الحداثة او المعاصرة بالنسبة للمرحلة التي كان يعيش فيها شاعرا طليعيا آنذاك ، هذه القطعة التي وضع لها عنوان (انا والصوت) اجتزىء منها الآتي لطولها :(٣)

في هجعة الليل الحنون الظليل   والكــون لاه بمناجاتــه
الله ، اذ صوت حزين عليل   ينغـص العيـش بآهاتـه
ويفسـد الجـو علـى القانتين
ويحك ، يا صوت ، ألم يكفنا   بكـاء هـذي الانفس الآثمـه
حتى أتيت اليوم ذا .. أرضنا   تـذري بهـا آهاتـك القاتمة
تسترجع النـوم مـن النائمين

الصوت :

يـا شاعرا يلصق بالارض ويرضى بالحياة   بـين البشـر
قم وانج من سجنك ، يا شاعر من قبل الفوات   قبـل السحـر
قم وانج واصحبني ، والليل بهيم ، وهات   قيثـارة الكـدر
نرسل في ذا الجـو مـن ألحاننا الخالدات   ما يحزن الحجر

الشاعر :

أنا بالارض لاصقا ، انشر الافراح حولي يا صوت أرفع منكا
لست أهوى تلك الانانية الصفراء حتى اسيح في الجو معكا
لست أرضى بترك اخواني الناس صراعى من النوائب هلكى
بل بشعري الطروب أمسح دمعا وبلحني الشجي أطرد ضنكا

الصوت :

انـك يـا شاعـري   لغريـب الطبـاع
كـم شاعـر جاهـل   مثلـك قـد ضـاع
حـاول تخفيـف مـا   يجري بـلا انقطـاع
فلم يكن نصيب أتعابه   الا الضيـاع

الشاعر :

ما حاول الشعراء قبلي   محـو آلام البشـر
الا بحـزن أو بضعـف   أو بوصـف للضجـر
أنـا شاعـر الافـراح والقـوة والامـل النضـر
لا أمسـح الدمـع بدمـع مثلـه قـد انهمـر
بـل بحواشـي النـور تبعـث في دجـى قلـب كسـر
أنـا لا أعـزي الضعـف بالضعـف الكذوب المبتسـر
بـل ابعـث القـوة في النفس ، وفي القلـب الكبـر

ان مثل هذه القطعة كانت تأخذ مجراها بين الناس جودة واتقانا بالاضافة الى ان موضوعها الحواري كان من حيث التجديد خلال المرحلة التي كان يمر فيها الشعر العربي في سورية برتابته وبطئه ، وحيرته بـين القديم الذاهب والجديد الوافد ، يعتبر تجديدا مقبولا بل ويصفق له بالاكف ويعلق على صدر قائله الوسام .. ولكننا لو قرانا هذا الشعر — ومنه هذه القطعة — بثقافة الستينات او السبعينات — لما هزنا منه شيء ، بخلاف الموضوع .. الصوت .. ولا ادري لم لم يتعمق سعيد في موضوع الصوت ، والصوت باعتقادي هو اسمى الفنون التعبيرية لان الانسان الاول عبـر عـن اول احساس اعتـراه بـ/الصوت .. والطفل الرضيع اول ما يعبر بالصوت .. وبالصوت وحده تلبى حاجاته الملحة ، والحيوان يعبر عن ذاته بالصوت ، والاشياء ايضا — حتى الجمادات اذا انهارت او مسها خطب فانها تشير الى (نفسها) بما تحدثه من جلبة ، وصوت .. ولذا نجد ان الصوت — هنا في تلك المقاطع لم يكن ليوظف — عند الشاعر — لصالح التعبير عن الشخصية/الانسان . هل لقصور عند المؤلف في تلك الايام ام لان جيله لم يستوعب مثل هذه الابعاد . لا ادري ... على كل حال فان الشاعر استطاع الى حد ما ان ينجح في حواريته تلك وكان نجاحه اكبر لو استعمل فيها ادوات ومفردات اسلس .. ولذا فان الجواب عن السؤال الذي يطرحه من ان المضمون هـو الذي يحدد الشكل ، لم يكن ناقعا ومن ثم موازيا للمبدأ والاعتقاد .. في رأيي هنا .

ولننتقل الى قصيدة تالية ، كان كتبها سعيد ونشرها في ١٩٣٩/١٢/٢٣ بعنوان « فناء » :

يا حياة النفوس ، يا شعلة الحب   أنيري هـذا الوجود ، أنيري
كل خيط من نورك السمح ذوب   لفـؤاد جـم الكلـوم كسيـر
أو لنفس نالـت مناها فعافت   كـل حـب غـير الفناء الكبير

يغمـر الحب كـل نفس طمـوح   فهـو منهـا بقاؤهـا والفنـاء
يهجر الارض والغنى والسكون النذل   فالعيش في السكون ارتماء
تتغـذى ببعضهـا وهـي تسعى   نحـو سامي الذرى ولا اعياء
طهرت فهـي قطعة من سنا الله   وصارت يضيق عنهـا الفضاء
كلمـا أرسلت شعاعا مـدى الكون   وذابت مـن جسمها أجزاء
أصبحت لا تطيقهـا أعـين الناس   وعادت لا تحتويها السمـاء
فهـي في نقصها تزيد سطوعا   وهـي في سعيها الجهير ضياء
وكمال النفس المحبـة حـال   فـذة اسمها العجيب ، فنـاء

يا حياة النفوس يا شعلة الحب   أنـيري هـذا الوجود أنـيري

اننا نجد شخصية الشاعر وقد تبلورت او هي في طريقها الى ذلك ، لانه اخذ يحيا في دنيا مـن الحركة والالوان ، شأنه شأن اكثر الشعراء في الثلاثينات ، فقد فطن الشاعر العربي الـى مكانه الصحيح مـن الركب الانساني .. وراح يحيا في عالم يموج بالمشاعر العامة . « متطلع منفتح ، ملهوف الرغبة ، عريض الآمال ، نهم الاحساس ، ظمآن النظر ، طامح الروح ، حار الاشواق . والحياة بدورها تعكس على هذا السائر المشوق صورها على اختلافها فيعكسها في شعره مستغنيا بما فيها مـن صدق الواقع وحرارة الصدق ونبض الحياة .. »(٤) .

وسـعيد ابو الحسن في هذه القصيدة يتجه الى وحدة القطعة — الموضوع ، وهذا الاتجاه نادى بـه الشعراء الجدد « فلم يعد البيت هو وحده القصيدة بل اصبح الشاعر الحديث يؤمن بمذهب علم النفس الذي يرى ان القصيدة تتألف من وثبات لا من ابيات .. »(٥) وهو — اي ابو الحسن — يؤمن ايمانا قويا بهـذه الوحدة ، في الشعر والقصة والمقالة .

كما انه لا يقبل بالادب الجامد الخالي من العاطفة ايا كان الموضوع وله تعبير استعمله كثيرا وهو « فكر له قلب وقلب يفكر » بمعنى ان الفكر لا بد له من عاطفة تدل على ايمان المفكر بما يقول واستعداده للرهان على كل كلمة يقولها كما ان العاطفة — في رأيه — يجب الا تكون جامحة متجاوزة حدود العقل .

هذا ، كما نجد في « غناء » بعض « التجسيم » وهو من خصائص الاسلوب التي ظهرت في الشعر العربي الحديث . والذين اكثروا فيه هم شعراء لبنان ، ولما كان سعيد من اولئك الذين تعلموا ودرسوا المراحل الاعدادية والثانوية والجامعية في الجامعة اليسوعية في بيروت ، فانه لا بد وان يتأثر باللبنانيين الذين استهوتهم بعض الالفاظ مثل « الصدى الباكي ، الفجر الطري ، الظلمة السكرى » ، وغيرها الى حد الفتنة ، فساق لنا ابو الحسن « السكون النذل » و « العيش المرتمي » ــ هذه الالفاظ التي كان يسميها الياس ابو شبكة ، الالفاظ الجبرانية(٦) .

ويسير سعيد ابو الحسن في درب الشعر جادا تحدوه الامنيات الكثار وتدفعه الرغبات الشعرية لاكتشاف نفسه ووضعها في دائرة الخلق ، وهو المؤمن بأن الادب من معنى الخلق والابداع ولذلك يسمونه « الانشاء » ، والانشاء ــ في نظره ــ هو الخلق من لاشيء ، ومن هنا وجب ان يدل الادب على صانعه ، اي ان يكون للاديب اسلوبه الاصيل الشخصي ، لا يقلد به احدا ، ولا يمكن ان يقلده احد ، ومن هنا قال احد الكتاب الفرنسيين (الاسلوب هو الرجل) . وهو يؤمن بالالهام ، وبمصادر الالهام ، فالحق ملهم ، والايمان ملهم ، والجمال ملهم ، والبطولة ملهمة ، والشعب ملهم ، والنضال ملهم ، والثورة ملهمة ، ولكن الالهام ذاته يربى ويصقل ، بمعنى ان الالهام يتطلب ثقافة شاملة متجددة تكون ارضية له فتستقبله وتتمثله ، وترده ملونا بلونها حاملا صفاتها ومميزاتها ، تماما كما يستقبل الجسد انواعا منوعة من الطعام فيهضمها ويتمثلها ويحيلها دما ولحما من لحمه ، وعبارة (يتمثلها) بعيدة الدلالة : اي يجعلها مثله ، يجعلها منه ، يجعلها اياه ... والى جانب الالهام وكشيء متمم له ، فان سعيدا يؤمن باللقاح الفكري والعاطفي فحين يشعر ، بشيء من الجفاف او القحط الفكري او الروحي ، تجده ، بصورة لاشعورية ، يأخذ بيده كتابا « نهج البلاغة للامام علي بن ابي طالب » كرم الله وجهه ، او « البيان والتبيين للجاحظ » او كتابا لمفكر او شاعر فرنسي ، او معجما كلسان العرب ، ويطالع صفحة لا على التعيين ، فيزول الجفاف ويتوارى القحط ، وتعود اليه القابلية والرغبة فيتابع ما هو فيه .

وكما ان الشعر العربي الحديث ، احتفل بالطبيعة وازداد قربا منها واحساسا بها وتجاوبا معها « وحاول الشعراء المحدثون النفاذ الى اسرارها المبثوثة في الكون فما يكاد يخلو ديوان من التفاتة اليها او صلاة في محرابها»(٧) فان سعيد ابو الحسن شارك في هذا الاحتفال ، ولم لا ، وهو من معاصري الشعر الحديث ، اذن لنقرأ له هذه القطعة (نشيد السنابل) :(٨)

يا نشيدا ، سنابل الحقل غنته — على مسمع الضحى المفتون
رجعته الآفاق ترجيع اعجاب — بما فيه من شجى وحنين
وتهادت له الطيور سكارى — حالمات بما مضى من سنين
في ربانا سنابل الحقل قالت — منشدات في ثورة وجنون
يا عروس الاحلام ، يامنية النفس ، — ويا بهجة السنا في عيوني
انت يا مجد امتي مرقص الكون — ازدهارا على ممر القرون
عد الينا بالعز يا مجد ، والعدل — اعده للعالم المغبون
وابعث الروح في دنى من حديد — اصبحت بعد عهدك الميمون
انقذ الكون من دياجير دنيا — ما تعزي صارت بغير الانين
يا نشيدا ، سنابل الحقل غنته — على مسمع الضحى المفتون

لقد كان الشعر في سورية في المرحلة التي بدأ منها سعيد وهي مرحلة النهضة الفكرية العربية بعد الحرب الكونية الاولى في هذا القرن « يكاد يكون في مدرسة واحدة هي « المدرسة العربية » فـ/محمد البزم وخير الدين الزركلي وخليل مردم وشفيق جبري وبدوي الجبل وعمر ابو ريشة ، وعمر يحيى وأمجد الطرابلسي وبدر الدين الحامد ، وجميل سلطان ، وسليم الزركلي ، وآخرون في المحافظات دمشق وحماة وحمص وحلب ودير الزور واللاذقية والسويداء ، هم جميعهم من هذه المدرسة على اختلاف فيما بينهم في اصالة الملكة الشعرية وفي نقص الشعور الصحيح في اللفظ الجميل ، وآية ذلك انك اذا قرأت شعر الشاعر من هؤلاء لم يمهر توقيعه في ذيله فلن تستطيع ان تحزر من هو على الضبط قائله لان شخصيات الشعراء في سورية متشابهة في الاغلب الاعم ، قريب بعضها من بعض ... »(٩) ولكننا نجد خلاف ذلك عند شعراء الخط الثاني ــ الشباب في ذياك الزمن امثال : انور الجندي ، سلامة عبيد ، حامد حسن ، نديم محمد ، وصفي قرنفلي ، احمد الجندي ، زهير ميرزا ، انور العطار ، سليمان العيسى ، عبد السلام العجيلي ، بديع حقي ، عمر النص ، احمد علي حسن ، وجيه البارودي ، محمد الحريري ، مدحت عكاش ، رفيق فاخوري ، محي الدين الدرويش .. وآخرون كثيرون .. منهم سعيد ابو الحسن ، ذلك لان هؤلاء الشباب بحكم ثقافة معظمهم الغربية ، وبالاخص منها الفرنسية ، قد نوعوا في موضوعات الشعر الحديث ، فكان لهم الشعر الرمزي ، والشعر القصصي ، والشعر العقلي ، والشعر الفلسفي والاجتماعي والوصفي مستمدين من حركة شيوع العلم الحديث ونظرياته بحكم الحضارة العلمية المادية ، وعلم النفس الحديث وغيره من العلوم العصرية ، افكارهم وموضوعاتهم ... ! فجاء شعرهم متنوعا كثير الاغراض والفنون والالوان .. يسجل اهتزازات النفس وخلجات الروح الداخلية ــ ان صح التعبير ــ حتى انهم عندما كانت الاحداث الوطنية تقع وتجتاح البلاد يلجأون الى الشعر العاطفي او الغزلي او الوجداني ليعبروا من خلاله عن احساسهم بوطأة الاستعمار والكفاح في سبيل الاستقلال .. وما قصيدة « نشيد السنابل » المذكورة لسعيد الا البرهان القاطع والدليل الواضح لهذا اللجوء .. فمن خلال مدلولات كلمات الابيات وايحائها الشعري والنفسي ينفذ الشاعر الى الغاية الكبرى في ان يتخلص الوطن من الاستعمار ويعيد مجده التليد .. بثقة وثبات وتقدم :

هاجمت أوتاري أيا حادثات   لا تطمعي اني عظيم الثبات
هاجمتها تبغين تحطيمها   فحطمتك النغم الساحرات
لو ساورت آلام هذا الورى   قلبي لعادت كلها خائبات
أو حاولت تغيير ما عندنا   من مبدأ عادت له خاضعات
ما أنا ممن ينثنون ولا   من معشر تغريهم المغريات
جبالنا بالمجد مكسوة ،   وهادنا تلفى بنا شامخات

— السويداء عام ١٩٣٩ —

لقد آمن سعيد بالالتزام من جميع وجوهه — ولم يؤمن بنظرية الفن للفن ، ذلك لانه وجد ان هذه الاخيرة لا تليق بالاديب المناضل ، الاديب الملتزم ، انه وجد في مجتمعه العربي ، بصورة اجمالية ، وفي مجتمعه الريفي ، بنوع خاص ، ان يكون الادب هادفا ، وان يكون له — الى جانب وظيفته الجمالية — وظيفة تغيير المجتمع ، وظيفة السعي الى حياة افضل ، السعي الى مثل اعلى .. انه يؤمن بالالتزام بأخلاقية معينة ، باعتبار ان الذي يكتب يعتبر مسؤولا عن كل كلمة يقولها ، فلا يجوز ان يدعو — الذي يكتب — الناس الى النزاهة وهو غير نزيه ، ولا الى الامانة الزوجية وهو غير امين ، ولا الى الصوفية الوطنية وهو غير وطني .. الى آخر سلسلة الاخلاق العالية التي ترد على لسان الاديب مباشرة او على لسان اشخاص قصصه ، ولسان حال سعيد في هذا كله قول الشاعر :

يا أيها الرجل المعلم غيره   هلا لنفسك كان ذا التعليم

من هذه المنطلقات كانت المواضيع التي عالجها سعيد ابو الحسن سواء في المقالات الصحفية او المعالجات الادبية او القصة القصيرة ، او الشعر ، كانت مواضيع هدفها تغيير المجتمع الى الافضل ، محاربة الفساد ، تحقيق المساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات ، محاربة التفاوت بين الطبقات ، التمسك بالقيم الاصيلة الدائمة وازدراء القيم المزيفة العابرة . الثورة على التجزئة الوطنية والقومية ، الثورة على العادات البالية ، الانتقال بالوطن والامة الى مستوى العصر بقفزات تختصر المسافات والمراحل ...

ان الاديب عند سعيد ان يكون صاحب رسالة ، يسبق زمانه ويشرف على المستقبل بكل نواحيه الاجمالية والتفصيلية ، لذلك يجب الا يكتفي بوصف ما هو كائن ، بل يجب ان يضيف ما يجب أن يكون برؤية واضحة ورؤيا مستقبلية .

في عام ١٩٤٣ — صدرت اوامر من السلطة الفرنسية — وكانت سورية العربية لا تزال ترزح تحت وطأة الانتداب الفرنسي — الى الدوريات بمنع نشر اي مقال باسم (سعيد ابو الحسن) في اي مناسبة .. فكتب هذا الشعر الى (قلمه) :

طويتك في نقمة الثائر   ومثل احتضار الهوى العاثر
وكنت الوفي وكنت الصبور   وتعزية الخاطر الحائر
فجاروا علي وجرت عليك   ولست وحقك بالجائر
ونحن على موعد شائق   نعود ونوقع بالغادر
فلست لأنساك يا صاحبي   وأنت المجسم في خاطري
وأنت الحبيب وأنت الرجاء   وأنت السلاح لذا الثائر
وأنت الغناء بقلبي الطروب   وأنت الجناح لذا الطائر
وأنت الربيع بقحط الحياة ،   وأنت الجمال لذا الناظر
لنا عودة والفضاء فسيح   يرحب بالشاعر الناثر
وكل الانام لنا مسعف   فلا تكترث للهوا العابر

السويدان ١٩٤٣/٥/٧

وبعد ، هذا هو الشاعر سعيد ابو الحسن الذي دخلت عالمه الرحب في هذه الدراسة المتواضعة ، عالمه الشعري فقط ، ذلك لان عالمه او بالاصح محيطاته : من قصة ومقالة وخواطر وآراء — وهي كثيرة — فتحتاج الى زورق آخر او الى باخرة كبيرة تستوعب اعماله الفكرية العديدة والمتنوعة ، آمل ان احظى بها في مجالات مقبلة .

بقي علي ان اعرف القارىء العربي العزيز بهوية هذا الشاعر الطليعي الذي بدأ خلال النهضة الادبية في سورية بين الحربين الكونيتين .. ولا يزال الى اليوم ينشر انتاجه الادبي في الدوريات العربية :

فقد ولد سعيد ابو الحسن بن محمد ، والدته نهدة المتني ، فجر يوم الاربعاء ٣ ذي الحجة ١٣٢٠ هـ — ١٣ تشرين الثاني ١٩١٢ في قرية (عرمان) منطقة صلخد — محافظة السويداء ، من اسرة لبنانية الاصل ، ما تزال تقيم حتى اليوم في لبنان ، منطقة المتن الاعلى — وكان الجبل (جبل السويداء) يومها يدعى (جبل حوران) وهو اسمه الجغرافي المعروف ثم سماه الفرنسيون (جبل الدروز) بقصد التمييز الطائفي ، ومنذ عام ١٩٣٧ اطلق عليه ابناؤه اسم (جبل العرب) ردا على التسمية الطائفية وهذا هو الاسم الذي يعرف به حاليا في القطر العربي السوري .

بدأ سعيد دراسته الابتدائية الاولية في (كتاب) القرية وكانت مقتصرة على القراءة والكتابة والحساب ، ثم بدأ الدراسة الابتدائية الرسمية من اولها بعدما احدثت المدارس الحكومية عام ١٩٢٢ ، انقطع عن الدراسة عامي ٢٥ — ٢٦ و١٩٢٧ بسبب نشوب الثورة العربية السورية عام ١٩٢٥ ، وفي العام ١٩٣٠ — ١٩٣١ بدأ الدراسة الاعدادية ثم الثانوية في الجامعة اليسوعية في بيروت نظرا لفوزه بمنحة دراسية ، حيث نال الشهادة الثانوية — قسم الفلسفة عام ١٩٣٦ وانتسب الى معهد الحقوق الفرنسي في بيروت ايضا — وهو فرع من جامعة (ليون) في فرنسا ، ولعدم تمكنه من التفرغ للدراسة عمل بالتعليم من تشرين عام ١٩٣٧ حتى كانون الثاني عام ١٩٤٠ ثم ابعد عن التدريس بأمر من السلطة الفرنسية لنشاطه الوطني ، وحول الى ديوان المحكمة ليعمل (كاتب ضبط مترجم) من ١٩٤٠ الى نهاية عام

الشعر والقضية

يا أيها الشعر قد غامت مراعينا ... وأظلمت بعـد اشراق ليالينـا
ما الشعر انلم يكن،والحرب دائرة ... نارا تموج...أعاصيرا...براكينا
ما الشعر انلميكن،والركب منطلق ... الا ضميرا أبيـا مغضبا فينـا
فالشعر أقوى سلاح ، وهو قافلة ... تشجي تراتيلها الصيد الميامينا
الارض أرضي،وأرضي قط ما عرفت ... معنى الهوان، وفي التاريخ ماضينا
الارض أرضي ، وهذي حرة أبدا ... وليأخذ المجد مـا يبغي قرابينا

حلب ـ كلية الآداب ... ممدوح مولود

١٩٤٢ ـ نال اجازة الحقوق في شهر تشرين الثاني عام ١٩٤٢ واثناء دراسته الحقوق انتسب الى معهد الآداب الشرقية في بيروت فحصل في ايار ١٩٤٢ على شهادة خاصة في تاريخ الادب العربي . وبعد حصوله على شهادة الحقوق استقال من الوظيفة ليعمل بالمحاماة بدءا من عام ١٩٤٣ حتى آخر نيسان ١٩٤٨ اذ عين قاضيا (معاون نائب عام) في بلدة القامشلي ـ الجزيرة السورية ـ في تموز عام ١٩٤٩ استقال وعاد الى المحاماة ومارسها في القامشلي حتى عام ١٩٦٠ حيث نقل مكتبه الى دمشق ـ العاصمة وبقي الى ١٩٦١/٢/١٥ حيث عين مديرا للشؤون الادارية في وزارة الاشغال العامة والثروة المائية ـ وفي ١٩٧١/١/١ رقي الى وظيفة معاون وزير الاشغال العامة والثروة المائية وما يزال الى الآن .

اما آثاره الادبية فهي كثيرة منها المؤلف ـ المنشور : بنو معروف بين السيف والقلم ـ طبع في السويداء عام ١٩٤٤ قدم قسم منه كرسالة الى معهد الآداب الشرقية في بيروت عام ١٩٤٢ للحصول على شهادة خاصة في تاريخ الادب العربي ـ ومقالات وقصص نشرتها مجلة المكشوف من ٣٧ ـ ١٩٤٠ ومقالات وقصائد نشرتها مجلة « الاديب » البيروتية من عام ١٩٤٤ الى العام ١٩٧٨ وكذلك فقد نشر بعض انتاجه الشعري في جريدتي الجبل عام ١٩٤٢ ـ والحضارة بين عامي ١٩٤٦ و ١٩٤٧ .

في عام ١٩٥١ ـ اصدر مجلة شهرية باسم (الخابور) في مدينة القامشلي وهي مجلة قانونية زراعية علمية حيث ظلت تصدر شهريا حتى نهاية العام ١٩٥٥ اذ بدل اسمها فصارت تدعى (المواكب) وكانت تبحث في الآداب والعلوم والاجتماع وتصدر شهرية حيث توقفت عن الصدور في نهاية عام ١٩٥٦ بعد ان صدر منها (١٢) عددا متتاليا . هذا وقد ترجم العديد من قصائد الشاعر الفرنسي الفريد ديفيني ونشرها في مجلة الثقافة التي تصدر حاليا في دمشق ، وكذلك نشر في مجلتي « العربي » و « النهضة » في الكويت الشقيق وفي ملحق العلم الثقافي في المغرب وفي كثير مـن الدوريات التي كانت تصدر في سورية كالاحرار ، والصباح ، وبردى ، والاخبار ، وصوت الجزيرة ، والنصر ، والايام ، وفي العراق نشر في : الزمان ، وعالم الغد ، وفتى العرب ، والعرب ، والحارس ، والبيان في النجف ، ومجلة التراث الشعبي .. وفي الثلاثينات والاربعينات ساهم في انشاء رابطة الجبل الادبية ...

دمشق ... اسماعيل عامود

المراجـــع :

(١) ـ جريدة « الاستقلال العربي » يوم ١٩٣٨/٧/٧ ـ دمشق وهذه القصيدة كتبت صباح ١٩ حزيران ١٩٣٨ .
(٢) ـ جريدة « الاستقلال العربي » في دمشق عام ١٩٣٨ .
(٣) ـ كتبت في ١٩٣٧/١١/٢٥ .
(٤) ـ من مقالة « خصائص الشعر العربي الحديث » بقلم نعمات احمد فؤاد ـ القاهرة ـ نشرته في العدد الاول من مجلة ـ الاداب ـ البيروتية كانون الثاني (يناير) ١٩٥٥ ـ العدد الخاص بالشعر الحديث .
(٥) ـ المصدر السابق .
(٦) ـ المصدر السابق وكتاب « روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة » لابي شبكة .
(٧) ـ نعمات احمد فؤاد ـ مجلة الآداب ١٩٥٥ .
(٨) ـ جريدة « الاستقلال العربي » يوم ١٩٣٨/٧/١٣ ـ دمشق .
(٩) ـ محمد روحي فيصل ـ مجلة اصداء الدمشقية العدد (٨) تاريخ ٢٢ شباط ١٩٤٥ .

رسالة.. وقصة

بقلم رستم كيلاني

لم افق من اثر المخدر الا بعد مضي ساعات من اجراء عملية جراحية في عيني اليسرى ، ولم يخب ظني فقد وجدت نفسي كما خيل لي ، معصوب العينين بالشاش ، ويحيط بي الظلام من كل جانب ، واستبد بي الضيق والضجر ...

وفيما أنا على هذه الحال شعرت بيد رفيقة امسكت بيدي وقالت في صوت هادىء :

— لا بأس عليك .

— شكرا .. من انت ؟

— انا الممرضة الخاصة بك .. أتريد شيئا ؟

— .. اذا احتجت لشيء فانا طوع امرك وبجانبك جرس يمكنك أن تستدعيني به .

وقبل ان تغادر الغرفة ناديتها ، فلبت ندائي قائلة :

— اتريد شيئا ؟

— اعذريني يا آنسة اذا كانت لهجتي معك جافة فأنا كما تعرفين .

مقاطعتني قائلة وهي تربت على يدي :

— تصبح على خير .

— وانت من اهله .

وثقل راسي من أثر التخدير فرحت في نوم عميق .

مضت ثلاثة اسابيع متتالية ترددت فيها اكثر من مرة على غرفة العمليات .. وفي خلال تلك الفترة الطويلة توثقت بيني وبين « سميحة » ممرضتي الخاصة التي تقوم بخدمتي والتي لم أر وجهها بعد صداقة عجيبة ، كان لها صوت حنون عذب شفوق كنت اصغى اليه فأشعر بالامل يغمر نفسي وآمنت بالمثل الذي يقول « الاذن تعشق قبل العين احيانا » .. كنت لا احتمل خلال تلك المحنة اية حقنة من يد غيرها ولا اطيق دواء من يد غير يدها ، كانت تتحمل معي آلامي وتخفف عني سهادي بعبارات رقيقة عذبة ، كما كانت تقضي معظم ساعاتها معي في غرفتي تقرأ لي الصحف ، وبعض الكتب ، وتتولى كتابة القصص التي أمليها عليها .

كنت اشعر وهي بجانبي بطمانينة لم اشعر بها في حياتي ... واستبان لي على مر الايام انني لم اعد اطيق عنها بعدا .

وكانت عشرات الاسئلة تحوم حول ذهني .. كنت اسائل نفسي مرارا .. هل هي تبادلني نفس شعوري ، او انها تقابل حبي بالعطف على والاشفاق والرأفة بي ولم اصل الى جواب الا انه فيما بعد ادركت انها تحبني ...

ولكن كثيرا ما تنتابني الدهشة وأسائل نفسي .. ما هو سر هذا الحزن العميق الذي يغلف فؤادها

انها غامضة دائما ، ولما اجهدني التفكير ولم اخرج بنتيجة .. سألتها ذات ليلة ..

— انني اتألم لاني احس بحزنك .

فلماذا لا تحدثينني عن سبب هذا الحزن ؟

وصمتت وطال الصمت ولكني احسست بأنها تبكي فتسللت يدي الى يدها وضغطت عليها برفق قائلا لها :

— انا آسف يبدو انني جددت آلامك ...

— بالعكس سيجيء اليوم الذي ستعرف فيه سبب حزني .. دعنا من هذا الآن .. هيا بنا نكمل القصة .

بهذا كانت «سميحة» تحاول دائما ان تتهرب من تساؤلي بأسلوب رقيق



عذب لا يجعلني الح في سؤالي .

طال بنا السمر والحديث العذب ذات مساء ودقت الساعة تعلن منتصف الليل .. وقالت وهي تقوم من جلستها انها قررت السفر الى بلدتها يوم الاحد يوم عطلتها — وكنا ليلة الاحد وسألتها :

— ومتى تعودين ؟

— صباح الاثنين .

وتركتني .. وشعرت بشيء في صدري وهامس يهمس في اعماقي بأنني لن ألتقي بها مرة اخرى ...

وجاء صباح ومساء الاثنين ولم تحضر « سميحة » من اجازتها الاسبوعية وتراكمت عشرات الاسئلة امام عيني المعصوبتين ، لماذا لم تحضر ... لماذا ؟ اي شيء منعها عن الحضور ، وأحسست بوحشة غريبة تعتصر قلبي ولم أنم هذه الليلة الا بعد اعطائي « حبة منومة » اسعفتني بها الممرضة التي تقوم بعمل « سميحة » حتى اكتم بها افكاري السوداء .

وجاء صباح الثلاثاء ولم تحضر كالليلة السابقة ، لقد اختفت فجأة بلا مقدمات .. وانتظرت عودتها ، ولكنها لم تعد .

كنت اسال يوميا عنها زميلاتها ، او عن عنوانها .. فكان جوابهن بالنفي .

وبعد اسبوع .

حضر الطبيب الى غرفتي ليحل عن عيني تلك الضمادات التي ما ان رفعها حتى وجدت نفسي ارى بعيني اليسرى كاليمنى تماما ، لقد كتب الله لي الشفاء وفرحت لذلك ، وكم كنت أود ان تنفتح عيناي بعد تلك المحنة على رؤياها .

وكتب الطبيب لي تصريحا بالخروج ، فارتديت ملابسي واخذت حاجاتي وودعت الممرضات جميعهن . وكم كنت أود ان تكون معهن « سميحة » .

وعند خروجي من بهو المستشفى وقد أحاطني من كل جانب ابي وامي واختي رأيت ممرضة تجري نحونا

منادية باسمي .. فالتفت اليها وقلت لها :

— اتريدين مني شيئا ؟

ولم تنطق ... ولكنها تركت في يدي رسالة وغابت عن وجهي تماما.

ولما وصلت منزلي فضضت المظروف بسرعة وعدت الى الكلمات من أولها ، ورحت اقرأ آخر ما تبقى لي من (سميحة) ..

« عزيزي ...

اكتب هذه السطور وانا في اشد الحاجة الى رؤياك ، لقد حاولت ان احضر في اليوم المحدد ، ولكن شيئا ما جعلني امتنع عن الحضور ربما يكون الخوف الذي جعلني ابتعد عنك وعن مقابلتك ، لا تحنق علي .. لقد خفت ان اواجهك بالحقيقة المرة التي عشت عمري اخفيها ، خفت في بادىء الامر ان اواجهك بها لانني كنت لا احتمل بعد ذلك بعدك عني .

انني اليوم سأصارحك بالحقيقة التي اخفيتها عنك وسأجيب عن سؤالك الذي طالما سألتني عنه ، وما كنت اجيب وهو سبب حزني كنت اتهرب من هذا السؤال ولكن اليوم لن احاول التهرب بعد ان تعرف قصة حزني من خلال سطور هذه الرسالة التي بين يديك الآن .

كان ذلك منذ سنوات ...

كانت لي اخت وحيدة عبث بشرفها ذئب مناها بالزواج ، ولكن هذا الذئب اللعين تخلى عنها فكانت النتيجة الانتحار .. لقد انتحرت وبكيتها كما لم تبك فتاة اختها ، ومنذ ذلك اليوم وقد نذرت ان أنتقم من جنس الرجال .

وبدات بالفعل اخوض المعركة فرحت اوقع كل رجل اصادفه في حبائلي واخدعه بحبي حتى يشعر بأنني اصبحت ملكا له في حين انني اضمر له في نفسي شرا مثل ما يضمره عدو لعدوه .. وعندما التقي به في خلوة على انفراد اظهر له ضعفي كأنثى فيتقدم نحوي ويحاول ان يغلبني على امري .. ولكن هيهات فلا اتركه يلمس من جسدي شيئا ، وعندما يرى مني ذلك الجفاء يحاول ثانيا وثالثا .. ثم يخر تحت قدمي ذليلا معذبا امام كبريائي يبثني غرامه وحبه واخلاصه وكأنه يخدرني بكلماته المعسولة فكان ذلك يزيدني يقظة وانتباها ، وحرصا وانا انظر اليه باحتقار شديد ثم أفر من وجهه ساخرة منه وعلى شفتي ابتسامة الانتصار .

ومضيت في هذا الطريق الى آخره .. تنتهي معركة لتبدأ معركة اخرى ، وكنت اجد اللذة في ذلك ، وظللت انتقم من هؤلاء الرجال حتى وجدتك شابا يتمتع بنشوة الحياة .. فحاولت التغرير بك فلم اتمكن من مقاومة طيبتك التي ظهرت في معاملتك لي ، وشفقتك التي غمرتني بها كلما وجدتني ساهمة شاردة الفكر .. لذلك خشيت ان اهدم حياتك تلك كما هدمت حياة غيرك من قبل انتقاما كنت اشعر بقوة تدفعني اليك .. الى حبك وصدقني يا عزيزي لقد احببتك .. نعم احببتك فوق ما يستطيع البشر ان يحب رغم انني عشت حياتي حتى اللحظة التي عرفتك فيها محرومة من الحب وحيدة بلا قلب ، وما اقصر تلك الايام التي عرفتك فيها والتي نعمنا بها ومرت مرور السحاب ...

حقا كان حبي لك اقوى من الحقد الذي ملأ قلبي ...

أعذرني يا عزيزي .. فكلما كنت اراك واتذكر اختي المسكينة يتسلل الى قلبي كراهية الرجال وتغرقه في فيض من الحقد والرغبة في الانتقام فخفت ان انتقم لروح اختي الطاهرة منك .. انت الانسان الذي احببته لذلك حاولت ان اهرب من امامك بل من نفسي ، فكرت في الانتحار فخفت من الله وفي الوقت نفسه خشيت ان اكون قد خدعتك بحبي ، كما خدعت من قبل اكثر من رجل .. وانا لا ارضى لك ان تضحي بحياتك وحبك مع انسانة عاشت فترة من الزمن تعبث بالنار لتنتقم من الرجال ، بل من الذئاب الذين يلبسون ثياب البشر .. فلم اجد اي سبيل الى انتطاع تلك العلاقة الا بأن اختفي من حياتك عاجلا او آجلا من اجل حبي لك ورحمة بمستقبلك .

هذه هي قصتي في سطور .

واخيرا ارجو منك الا تأسف على حبك اياي .. وان تذكرني دائما عندما تأوي الى فراشك تحلم وتتأمل، حتى تسطع شمس النهار وترن في اذنيك زقزقة العصافير فوق الاشجار وهي تستقبل في فرح مولد اليوم الجديد واطلب من الله وقتذاك ان يغفر لي ويصفح عني كما ارجو منك ان تكتب قصتي هذه .. قصة احزاني واخرجها الى النور .. وضعها امام الناس ليقرأوها .

اتمنى لك السعادة ، وارجو لك الهناء ...

« سميحة »

طويت الرسالة في جيبي واخرجت قلمي واحضرت ورقة وبدأت اكتب رسالة وبعد ان انتهيت منها نظرت اليها ثم وضعتها في مظروف ازرق ولم اكتب على المظروف شيئا سوى اسم سميحة ، وبحثت عن عنوانها فلم اجده وجمد نظري فوق المظروف وراحت اناملي تعبث بالرسالة تمزقها .

واحضرت ورقة اخرى .. ورحت اكتب بلا توقف حتى سطعت شمس النهار ورنت في اذني زقزقة العصافير وهي تنتقل فوق اغصان الاشجار من كل جانب تستقبل في فرح مولد اليوم الجديد فانحدرت على الرغم مني فوق خدي دمعة كبيرة من خلف نظارتي السوداء ولم اشعر بنفسي حينما رفعت راسي الى السماء اطلب لسميحة الغفران .

وحينئذ كنت قد انتهيت تماما من كتابة القصة .. قصة احزانها .. واحزاني ..

رستم كيلاني **القاهرة**

نشوة موسيقية

*

ليلى السايح

*

الكويت



تعال الى أحضاني
ففي هذا التصعيد السماوي
أراك تقتحم عالمي
ذروة من فرح
كنفرات شجية فوق شراييني
تهزنـــي
تخمر دمي
أصبح فراشة
ترفرف فوق روض من أزاهير الخلود
أسبح في فضاء أخضر
عبر سديم مضيء

و .. تخمرت أدمعي
انساب نهر من نشوة كياني
ينقلني الى السماء
اتلاحم مع الطبيعة
اتحول جملة من نغم
تعزف لتجدد وجودي
ينحدر نبع النشوة
أرتعش
ارتعاشة فراشة قرب قنديل
تمــوت
ولكن ، بلذة
تمــوت
ولكن ، ذلك الموت الممتلىء بالحياة ..
يفرح الحياة كلها
لذة طهور
تعانق طهر الملائكة
تلتحم الطفولة ــ الطبيعة ــ الموسيقى
لتحملني الى غابات منسية
لا يطأها بشر
لا تدنسها يد انسان

تعال الى أحضاني
فنشوة الموسيقى تمزجني بك
نصبح ثلاثة
أنت .. أنا .. النغم ..
متحدين ، متفردين
في فضاء أخضر
لا بداية له ..
لا نهاية له ..



عيسى فتوح

المعلم جبر ضومط

(١٨٥٩ — ١٩٣٠)

بقلم عيسى فتوح

* * *

ولد في بلدة صافيتا بسورية عام ١٨٥٩ ، ولما بلغ الحادية عشرة من عمره ، عين معلما صغيرا في مدرستها ، لكنه لم يلبث ان غادرها الى مدرسة عبيه العالية في لبنان . وبعد ان امضى فيها سنتين ، انتقل الى الكلية السورية الانجيلية في بيروت (الجامعة الاميركية اليوم) فأقام فيها اربع سنوات ، نال في نهايتها سنة ١٨٧٦ الشهادة العلمية ، ثم توجه الى طرابلس عاقدا النية على ان يتخذ التعليم مهنة لـــه .

تطوع سنة ١٨٨٥ في الحملة البريطانية التي ذهبت الـــى السودان مترجما ، فخبر بنفسه اهوال الحروب الاستعمارية ، ولما عاد من السودان اقام في بيروت يدرس اللغات السامية كالسريانية والعبرانية والكلدانية التي كان يتقنها كالعربية ، ثم وضع كتابه المشهور (الخواطر في اللغـــة)

غادر لبنان الى انكلترا ليدرس اللغات السامية لكنه لم يلبث ان عاد اليه ، اذ راى ان وطنه اولى بخدمته من سواه ، فتولى تدريس الصفوف العلمية في مدرسة كفتين الارثوذكسية عدة سنوات ، الى ان دعي عام ١٨٨٩ الى الكلية السورية الانجيلية ليحل محل استاذه وزميله الدكتور يعقوب صروف في التدريس ، بعد ان نقل مجلته « المقتطف » من لبنان الى مصر ، ثم اصبح مديرا للدروس العربية فيها .

نشر ، بالاضافة الى كتابه المذكور ، كتابا في البيان سماه (الخواطر الحسان في المعاني والبيان) ، وآخر في النحـــو سماه (الخواطر العراب في النحـــو والاعراب) و (خطاب في اللغة) ، و (فك التقليد في علم الصرف) بالاشتراك مع بولس الخولي ، و (فلسفة البلاغة) واخيرا كتاب (فلسفة اللغة العربية وتطورها) الذي يعتبر اهم كتبه على الاطلاق .

اما المقالات التي نشرها والخطب التي القاها فـــلا تحصى ، وقد امتاز بأسلوبه الجديد في تدريس العربية ، وعدم إتباعه لمن تقدمه من علمائها ، فقد كان يعترض على الكثير من احكامها ، وينتقدها ، ويعيب بعضها ، مستندا الى البراهين الفلسفية واللغوية ، فأحدث ذلك ضجة كبيرة في المحافل اللغوية العربية ، وتصدى له المحافظون بالنقد والرد والتعليق .

قضى العلامة جبر ضومط خمسين سنة في تدريس اللغة العربية وآدابها في الجامعة الاميركية وغيرها ، فكان حجة في اللغة ، واماما في البيان ، والمستشار الذي يرجع اليه في المعضلات . درس عليه آلاف الطلبة ، فألف لهم كتبـــا جديدة عصرية في المعاني والبيان والنحو والبلاغة امتازت بأسلوبها العلمي المنطقي ، وكانت هذه العلوم تدرس من قبل في كتب صفراء قديمة ومعقدة . اما اسلوبه في التدريس فكان يقوم على الاكثار من الامثال ، والابتداء ببحث الجزئيات قبل التفصيلات التي اذا قراها الطالب استنتج منها القاعدة .

لـــم يقصر جبر ضومط جهوده على اللغة العربية واشعارها ومفرداتها وقواعدها ، بل ضرب بسهم وافر في سائر العلوم ، ولا سيما في تاريخ العرب والاسلام ، تشهد له في ذلك الرسائل والمقالات العديدة التي نشرها في المجلات العلمية في موضوعات تاريخية شتى ، وكلها بأسلوب مبتكر لا يعتمد على النقل او التقليد ، ولم يطرق موضوعا تاريخيا استوفى غيره بحثه ، بل كان يعمد الى المسائل الغامضة في التاريخ ، فيمحصها ويعمل نظره الثاقب فيها .

تفوق في الحجة والاقناع ، ودأب على تحكيم العقل في كل ما يكتب ، فيخرج من الجزئيات الى الكليات بأسلوبه المنطقي السليم .

احب اللغة العربية ، وهام بها الى حد بعيد ، وكان

ليلى

شاهدت ليلى في الظلام حزينة وعيونها مذعورة النظرات
فسألتها كم عاشق غنى لها وقصائد المجنون كالشذرات
شاخ الزمان ولا تزال كعهدها فوق الشفاه ، نقية الكلمات
قالت وآثار الهموم صريحة عن نفسها ، تبدو على القسمات
الطهر في المجنون بين ثيابه وفؤاده في الحل ، والسفرات
فاذا تغنى صادقا ، واذا هفا فالحب مجدول على الخطرات
والنوم لا ياتيه الا زائرا مستطرقا في رهبة الفلوات
فاذا راى ليلاه طيفا عابرا عاف المنام وضج بالعبرات
هل فيكم أحد تعلق بالهوى وثيابه بالطهر كالعبقات
فأجبت ان العصر غير زمانكم ما عاد عذريا بكل صفات
حتى اذا انكشف الظلام تبدلت ليلى ، وزال الحزن في البسمات
وتباعدت عني يودعها السنا وتشير باليمنى مع اللفتات

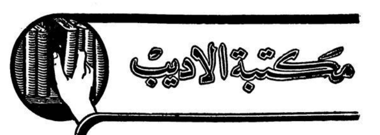
الكوت — العراق كاظم محمد حسين

يتفجر غيرة عليها ، وعلى كل ما هو وطني او عربي او شرقي . وكان يعتقد ان اللغة كائن حي يجب ان تنمو بنمو ابنائها ، وان معاجمها تتسع ، واساليب التعبير تتعدد كلما اتسع افق ادراكهم ، وتعددت وجهات نظرهم في الحياة ، فتخرج اللغة حينئذ عن كونها احد المتحجرات التي تصلح لان تحفظ في المتاحف ، وتستخدم في قضاء حاجات النفس ، والافصاح عن معاني الحياة .

وكان لا يرى بأسا في التساهل ببعض الحركات الصرفية والاعرابية ، وفتح ابواب الاشتقاق والقياس على مصراعيه ، وتطبيق قاعدة النحت للعبارات المركبة ، فاللغة يجب ان تتكيف مع متطلبات العصر .

ومما يدعو للاسف انه لم يؤلف عن هذا العلامة حتى الآن اي كتاب يدرسه دراسة علمية وافية ، ويقف عند بحوثه اللغوية المتطورة التي سبق فيها علماء زمانه ، ولا يسعني الا ان اذكر طلاب الدراسات العليا في الجامعات العربية — ولا سيما المهتمين بقضايا اللغة وفلسفتها ومقارنتها بأخواتها السامية — بهذا الرجل الفذ الذي انجبته صافيتا ، وكان رائد علمائها ، واول مثقفيها الذين تعتز بهم ، وتفاخر بأمثالهم ، ولذلك تألفت لجنة في كل من دمشق وصافيتا قوامها الدكتور جورج جبور ، والاستاذان عيسى فتوح ، وعبد العزيز دقماق مدير المركز الثقافي العربي في صافيتا ، لاقامة اسبوع ثقافي عنه في العام الجاري ، بمناسبة مرور نصف قرن على وفاته ، وقد اجرت اللجنة اتصالات واسعة بوزيرة الثقافة ، ورئيس مجمع اللغة العربية — الذي كان عضوا فيه — والرفيق جورج صدقني عضو القيادة القومية للاعداد لهذا الاسبوع ، والسعي لتأليف كتاب عنه ، فترجو اللجنة من المهتمين به ، ويودون المشاركة بهذا الاسبوع ، الكتابة الى الاستاذ عيسى فتوح لتنسيق العمل ، علما بأنه لم يحدد موعد هذا الاسبوع التكريمي بعد ، ونرجو من الاستاذ اميل جبر ضومط الاتصال باللجنة ليأتي العمل متكاملا .

٤٨ قصور — كزبرى — دمشق عيسى فتوح



من معجم المتنبي

تاليف الدكتور ابراهيم السامرائي — ٢٥٨ صفحة — منشورات وزارة الاعلام العراقية — دار الحرية للطباعة — بغداد — ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م

بينما كنت في آخر الربيع الماضي ١٩٧٨ استجم نفسي من ارهاق عنيف نزل بي ، بعد عمليتين جرحيتين ، وأريح قلبي ليصبح قادرا على تحمل العملية الثالثة ، ثالثة الاثافي ، اذ حمل الي البريد المسجل كتاب الاديب الكبير ، الدكتور ابراهيم السامرائي ، الاستاذ في كلية الآداب بجامعة بغداد ، وهو حبيب الى لبي ، لانني أجد في مقالاته في مجلات المجامع اللغوية العربية ، غذاء ترحب به النفس ، وترتاح له الروح ، لانه — على ما يخيل الي — صافي السريرة ، نقي القلب ، فتاتي عباراته واضحة مثله .

تناولت كتاب « من معجم المتنبي » ، الذي ألفه هذا الاديب اللغوي النابه ، لأقرأه ، على ان لا تتجاوز قراءتي اليومية فيه ساعة من الزمن ، لم يسمح لي الاطباء باكثر منها ، فاذا بي لا أترك هذا المعجم النفيس حتى وصلت الى آخر كلمة فيه . فآليت ان اجعله احد مصادر معجمي الجديد « معجم عثرات الادباء » ، الذي سيباشر بطبعه قريبا ، بعد ذكر بعض المواد ، التي بحث فيها الدكتور السامرائي بحثا شاملا .

قال ان جمع المتنبي اسم الجمع (ابل) على (آبال) ، في قوله من قصيدة يمدح بها أبا شجاع فاتكا :

تجري النفوس حواليه مخلطة منها عداة ، وأغنام ، وآبال

لم يرد في المعاجم ، التي بين أيدينا ، عدا « التهذيب » للازهري ، لان (ابل) هو اسم جمع .

وحاول المؤلف ايجاد عذر للمتنبي ، لجمعه الابل على : آبال ، فوجد له عذرين ، هما الضرورة الشعرية ، وعطفها على (أغنام) وزان (أفعال) .

وفي الحقيقة كان المؤلف الفاضل في غنى عن اختلاق هذين العذرين ، لان خمسة عشر مصدرا — عدا الازهري — قد جمعت الابل على : آبال ، هي : الصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمحكم ، ومختار الصحاح ، واللسان ، والمصباح ، وحياة الحيوان الكبرى للدميري ، والقاموس ، والتاج الذي استشهد بقول الشاعر :

وقد سقوا آبالهم بالنار والنار قد تشفي من الاوار

والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

ويقول التاج : تسكن باء (ابل) للتخفيف على الصحيح ، كما قال الصاغاني وابن جني .

وجوز كراع ، والمصباح ، ومحمد الفاسي ان تكون ابل (بتسكين الباء) لغة مستقلة .

ويخطأ السامرائي ، لانه اورد كلمة (أول) في فصل الهمزة وباب اللام ، لان الصحاح ، والمختار ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، اوردوها في مادة (وأل) .

ويذكرها الراغب الاصفهاني في مفرداته ، والمتن ، والمعجم الكبير في كلتا المادتين (وأل وأول) .

ولتعليل ذلك قال اللسان : « فمنهم من يقول : (أول) تاسيس بنائه من همزة ، وواو ، ولام ، ومنهم من يقول تأسيسه من واوين بعدهما لام ، ولكل حجته » .

وقال المصباح : ان اصل أول هو وول (بفتح فتضعيف) او أءول (بفتح فسكون ففتح) لكنه ذكر ذلك في حرف الهمزة .

وقال التاج : « في أصله أربعة أقوال هل هو (أوأل) على أفعل أو فوعل ، أو (ووأل) بواوين ، أو (فعال) ، وصحح أقوام (أوأل) لجمعه على أوائل ، وله ثلاثة استعمالات أو أربعة .

ويقول الوسيط : أصلها (أوأل) أو (ووأل) .

ويؤيد السامرائي بذكر هذه المادة منفردا في (أول) كل من معجم القرآن الكريم ، والتهذيب ، والاساس ، والنهاية ، والمصباح .

وقال الراغب الاصفهاني ان ذكرها في (أول) افصح ، وقال المتن ان ذكرها في (وأل) ، اعتمادا على ان اصلها هو (أوأل) ، هو قول ضعيف .

ولكن الدكتور السامرائي لم يذكر سوى جمعين اثنين لكلمة (أول) هما : أوائل و أوالي ، مع ان هنالك ثلاثة جموع أخر ، هي :

(أ) الاولون : معجم ألفاظ القرآن الكريم ، والصحاح ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، والمتن ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

(ب) والأول (بضم ففتح) : قال بشير بن النكث (بكسر فسكون) :

عود على عود لاقوام أول يموت بالترك ، ويحيا بالعمل

وقال المتنبي الذي كان ديوانه المحور الذي دار حوله كتاب السامرائي (من معجم المتنبي) :

ليت المدائح تستوفي مناقبه فما كليب وأهل الاعصر الاول

وممن ذكر الأول (بضم ففتح) ايضا : التهذيب ، والصحاح ، واللسان ، والمصباح ، والتاج ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمعجم الكبير .

(ج) والألى ، قال ابو تمام :

ان القوافي والمساعي لم تزل مثل النظام اذا أصاب فريدا
من أجل ذلك كانت العرب الألى يدعون هذا سؤددا مجدودا

أراد الأول (بضم ففتح) فقلب .

وممن ذكر الألى ايضا : اللسان ، والتاج ، والمعجم الكبير .

وقد احسن المؤلف الفاضل حين ذكر ان كلمة (بطحه) ، التي يظنونها عامية ، هي فصيحة ، واستشهد ببيت المتنبي :

يخطو القتيل الى القتيل أمامه رب الجواد ، وخلفه المبطوح

ثم قال ان الفعل (بطحه) اليوم ، هو من اقوال العامة وحدهم .

والحقيقة هي ان كثيرا من الادباء المعاصرين يستعملون الفعل (بطحه) ، وحسبنا استعمالنا كلمة البطحاء اليوم ، عانين بها المكان المتسع يمر به السيل ، فيترك فيه الرمل والحصى الصغار . وشبيهة بها كلمة الدقعاء ، التي تعني التراب او الارض التي لا نبات فيها . وهذا جعلنا نقول : فقر مدقع ، اي يرمي صاحبه على الارض من شدة الجوع ، الذي يجعل المرء غير قادر على النهوض .

اما الذين ذكروا ايضا ان الفعل (بطح فلانا) معناه : ألقاه على وجهه ، فكثيرون ، منهم الخليل بن احمد الفراهيدي ، والليث بن سعد ، والتهذيب ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والاساس ، والنهاية ، والمغرب ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، ودوزي ، والمتن ، و « من معجم المتنبي » .

ومما أجاد الدكتور السامرائي انتقاءه لمعجم المتنبي من ديوانه ، استعمال شاعرنا الفعل (بقى) بفتح ففتح ، بدلا من (بقي) بفتح فكسر ، في قوله :

فتعطي مـن بقي مالا جسيما   وتعطي من مضى شرفا عظيما

ومن استعمل الفعل (بقى) قبل المتنبي ، زيد الخيل الطائي ، القائـل :

لعمرك ما أخشى التصعلك ما بقى   على الارض قيسي يسوق الاباعرا

والفعل المقصور (بقى) هـو لغة طيء ، التي تجعل الافعال المنقوصة بقي ، ورضي ، وفني وأشباهها ، افعالا مقصورة : بقى ورضى ، وفنى .

ويقول السامرائي : « يبدو ان الشعراء التزموا بهذه اللغة (بقى) كلما اضطرهم وزن الشعر الى ذلك ، وان لم يكونوا من طيء » .

اما الذين اجازوا استعمال الفعلين المقصور (بقى) ، والمنقوص (بقي) كليهما ، فمنهم : الجامع للكرماني ، والتهذيب ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط واقرب الموارد ، والمتن .

وقد اختلفوا في كتابة الفعل المقصور (بقى) ، فبعضهم كتبه بالالف المقصورة بقى : التهذيب ، ومعجم مقاييس اللغة ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، واللسان ، والقاموس ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد والمتن .

وكتبها بعضهم بالالف الممدودة (التي يسميها بعضهم صحيحة) بقا : الصحاح ، والمختار ، والمصباح ، والتاج .

وقد اجاز مد القاموس كتابتها بالالف المقصورة والممدودة كلتيهما ، ويرى ان كتابتها بالمقصورة (بقى) أعلى .

وأرى ان نكتفي بالفعل المنقوص (بقي) في نثرنا ، وان نحجم عن استعمال المقصور (بقى) في شعرنا الا اذا فرض الوزن علينا ذلك .

واحسن السامرائي ايضا ، حين ذكر ان الفعل (تفل) بمعنى : بصق ، ليس من اقوال العامة فحسب ، بل هو فصيح ايضا ، ويستشهد بقول ابو الطيب :

لـولا الجهالة مـا دلفت الى   قـوم غرقت ، وانمـا تفلوا

اي : لولا جهلك ما تعرضت لقوم يهزمونك بادنى قتال ، لانهم — لكثرتهم — لو تفلوا عليك لاغرقوك .

وقد روى السامرائي بيت المتنبي بتاء المتكلم (دلفتُ) و (غرقتُ) ، والصواب : بتاء المخاطب (بفتح التاء) ، كما يقول اليازجي والبرقوقي شارحا ديوان المتنبي الشهيران .وليس شرح ديوان المتنبي لابن جني في متناول يدي ، لاذكر ما جاء فيه . ولعل الدكتور السامرائي يرشدني الى المصدر ، الذي نقل منه هذا البيت .

ومن ذكر ايضا ان الفعل (تفل) معناه : بصق : التهذيب ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمحكم ، والاساس ، والنهاية ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وانفرد معجم مقاييس اللغة بقوله : « تفلت بالشيء : اذا رميت به من فمك متكرها له » .

ولا اوافقه على ذلك ، لان الاساس ، والنهاية ، والتاج ، والمد ، والمتن ، والوسيط تقول ان الصواب هو : تفل الشيء .

واجاد المؤلف حين قال ان استعمال الفعل حبه بدلا من (أحبه) شاذ ، وذكر ان المتنبي استعمله في قصيدة ، قالها في مـدح كافور الاخشيدي ، وجاء فيها :

حببتك قلبي قبـل حبك من نأى   وقد كان غدارا ، فكن أنت وافيا

وقد سبق السامرائي الى ذلك الاعلام والمعاجم الآتية : معجم الفاظ القرآن الكريم ، وسيبويه الذي قال ان كلا الفعلين بمعنى ، والفراء (لغة) ، وشمر بن حمدويه (لغة) ، والمبرد ، والتهذيب (لغة) ، والصحاح ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والمختار واللسان (لغة) ، والإصلاح والقاموس (شاذ) ، والتاج (لغة شاذة) ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن (شاذ) ، والوسيط (قليل الاستعمال) .

اما أنا فلا أرى فرقا كبيرا بين حبه وأحبه ، لان حبه القليل النادر الشاذ ، يكون اسم المفعول منه هو الفصيح المشهور (محبوب) ، بينما اسم المفعول من أحب : (المحب) هو النادر الشاذ . قال عنترة :

ولقد نزلت — فـلا تظني غيره   مـني بمنزلـة المحـب المكرم

وكلمتا المحب الاخيرتان هما بضم ففتح فتضعيف .

والفعل (خلى) بفتح فتضعيف فالف مقصورة ، الذي استعمله المتنبي بمعنى (ترك) ، بقوله :

وخيال جسم لم يخل له الهوى   لحما ، فينحله السقام ، ولا دما

يقول السامرائي : « ان هذا الفعل (خلى) بمعنى (ترك) ، أوشك ان يزول من الفصحى في عصرنا ، ولا تستعمله الا العامة . ومعناه في الفصحى اليوم هـو بمعنى : اخلى الدار ، اي جعلهـا خالية » . والحقيقة هي :

(أ) انفرد الدكتور السامرائي بقوله أن جملة (خلى الدار) تعني : اخلاها ، وقد عدت الى الصحاح ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والمختار ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط ، فلم اجد واحدا منها ذكر ان جملة خلى (بتضعيف اللام المفتوحة) الدار تعني : اخلاها .

(ب) اجمع هؤلاء على ان جملة : خلى الامر ، تعني تركه .

وفي حديث ابن عمر في قوله تعالى : (ليقض علينا ربك) ، قال : فخلى عنهم اربعين عاما ، ثم قال : اخسأوا فيها ، اي تركهم ، واعرض عنهـم .

(ج) لا يزال كثير من الكتاب والشعراء المعاصرين ، في البلاد العربية كافة ، يستعملون الفعل خلى بمعنى : ترك .

واحسن السامرائي بقوله : ان كلمة (الدون) بمعنى الخسيس الحقير ، التي تستعملها العامة هي فصيحة ايضا ، واستشهد بقول المتنبي في قصيدته التي مدح بها أبا الفرج احمد بن الحسين القاضي المالكي :

ولست بدون يرتجى الغيث دونه   ولا منتهى الجود الذي خلفه خلف

ومعناه : الجود مقصور عليك ، لا يرتجى دونك ، ولا يتجاوز عنك .

وممن ذكر ايضا ان (الدون) تعني الخسيس الحقير : معجم الفاظ القرآن الكريم ، والفراء ، والتهذيب ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمحكم ، والاساس ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

واستشهد الصحاح ، والمختار ، واللسان ، والتاج ، ومحيط المحيط بقول الشاعر :

اذا مـا علا المرء رام العلاء   ويقنع بالدون مـن كان دونـا

ويقول السامرائي ان كلمة سواسية كانت تعني التساوي في الشر ، ويستشهد بما قاله ابو عمرو الشيباني :

وكيف ترجيها وقـد حال دونها   سواسية لا يغفرون لهـا ذنبا

ويقول السامرائي ان الذي روى هذا البيت هو ابو عمر ، والصواب هو : ابو عمرو الشيباني ، لاننا لا نعرف بين الرواة من كنيته : ابو عمر .

ونقل انشاد ابن بري لذي الرمة :

ولولا بنو ذهل ، لقربت بينكم   الى السقوط اشياخا سواسية مردا

اي : لضربتكم ، وحاقت رؤوسكم ولحاكم .

ولكن : جاء في معجمي الاول « معجم الاخطاء الشائعة » ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الناس كلهم سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربي ولا لعجمي ، وانما الفضل بالتقوى . وهذا يدل على ان كلمة سواسية يجوز أن تستعمل في الخير ايضا ، لان التحلي بالتقوى خير عظيم .

والنبي سبق عصره عصور جميع الذين استشهد السامرائي بأقوالهم من اجدادنا ، وهذا يرينا ان استعمال سواسية في الشر والخير كليهما ، كان منذ القديم ولا يزال الى الآن ، واشهد أن استعمالها في الشر كان اعلى ، ولا يزال .

ويحذرنا الصحاح ، والعباب ، والمختار ، واللسان من ان نقول : شلت (بكسر الشين) الشيء ، بمعنى : رفعته . ويقول المتن أن شال الشيء يشيله هو من اقوال العامة . ويرى الدكتور السامرائي انه من اقوال العامة في العراق ، وربما كان من اقوالهم في غير العراق .

ولكــن :

هنالك من يقول ان الصواب هو : شال بالشيء او الشيء (بفتح الهمزة) يشوله ، وأنا شلت به وشلته (بضم الشين فيهما) ، وهم : العباب ، واللسان ، والمصباح (شلت به افصح من شلته) ، والمد ، واقرب الموارد ، والمتن (كالمصباح) ، والوسيط .

وهنالك من اكتفى بذكر شلت (بضم الشين) به : الصحاح ، والمختار ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط .

اما المتنبي في قوله :

أمــرت بــأن تشال ففارقتنــا   ومــا ألمــت لحادثــة الفــراق

فقد يكون الفعل المبني للمجهول (تشال) من : شال يشول او شال يشيل . وعندما علق السامرائي على هذا البيت في كتابه « من معجم المتنبي » ، لم يشر الى اصل عين الفعل (شال) .

ويجيز آخرون يشيل به ويشيله بمعنى يرفعه : مستدرك التاج (لغة رديئة) ، والمد ، ومحيط المحيط ، وذيل اقرب الموارد (لغة رديئة)، والوسيط .

ونستطيع ان نقول ايضا : أشلت الشيء : رفعته .

هذا ما عن لي انتقاؤه من مواد هذا المعجم النفيس الدسمة ، التي جعلتني اختاره مصدرا من مصادر الكتب ، التي اعتمدت عليها في تأليف معجمي الثاني « معجم عثرات الادباء » ، كما ذكرت في صدر هذه الكلمة .

وختاما أحيي الدكتور السامرائي تحية ادبية ابوية ، في هذا اليوم الذي دخلت فيه عامي السابع والسبعين الميلادي ، واشهد انه كان كالنحلة ، لانه استطاع ان يشتار خير ما في ديوان المتنبي من زهر ، فسكبه عسلا في كتابه « من معجم المتنبي » ، الذي ارجو ان اكون أنا قد احسنت بدوري الاختيار منه ، كما احسن المؤلف الاشتيار .

بيروت ــ شارع الجامعة العربية
بناية الاسكندراني ــ رقم ٣
محمد العدناني

* * *

الفارابي فيلسوف المدينة الفاضلة

تأليف فوزي عطوي ــ (؟) صفحة ــ دار الكتاب العربي في بيروت ــ ١٩٧٩

شرعت في مطالعة هذا الكتاب ، والاوضاع المحزنة التي آل اليها المجتمع اللبناني ، ومن ورائه المجتمع الانساني عامة ، تذكرني بكل انواع الاجتماع الانساني التي اشار اليها ابو نصر الفارابي ، ما عدا اجتماعا واحدا هو الذي تمثله « المدينة الفاضلة » او الذي مثلته من قبل « جمهورية افلاطون » ، فقلت في نفسي : انها لشجاعة متناهية من صديقنا الدكتور فوزي عطوي ، مؤلف « الفارابي فيلسوف المدينة الفاضلة » ان يتصدى لموضوع مثالي ، كهذا الذي تصدى له ، في زمن كادت تضيع فيه المثاليات ، فيما تقلقلت قيم الانسان ، وتزعزعت مقاييسه وموازينه .

ولعلنا لا نعدو الحقيقة ، اذا نحن قررنا ، منذ البدء ، ان هذا الكتاب يستطيع ان يؤدي دور الكتاب الرائد ، ليس في موضوعه وحسب ، بل في مجال التصدي لمؤامرة اسقاط الانسان خلال هذا الزمان ، في كل مكان تسنى لناسجي خيوطها ، ان يحيكوا النسج ، وان يعقدوا من شؤون الناس ما كان شأنه ان يبسط ، وان يفجروا من مكامن النفوس ما كان حقه ان يهدأ ويتئد .

لقد عرفنا ، قبل اليوم ، ما اتصف به المؤلف الباحث ، من نزاهة البحث الحقوقي فيما صنفه من دراسات ومحاضرات ، في النظم الادارية والدستورية والسياسية ، وفي القانون الدولي العام ، وفي التشريع الضريبي ، كما عرفنا فيه التأني في التأليف الادبي ، على كثرة ما ألف في هذا المجال ، شعرا ، ونثرا ، وتحقيقا وتعريبا ، فكان ادنى ما يستحقه منهاجه الاكاديمي المتزن من تقدير ، ما قدمه له لبنان وفرنسا حين نال وسام الارز الوطني ، ووسام الانجازات الانسانية الفرنسي .

واذا كان من حسنات هذا الكتاب ، انه يعكس تجربة مؤلفه ، واضطلاعه بتدريس تاريخ الفلسفة العربية ، فان محاولة تبسيط الاسلوب في ايضاح النظريات والنصوص الفلسفية هي رأس المزايا التي تيسر على القارىء غير المتخصص في الفلسفة ، سبيل استيعاب ما قد يستغلق عليه من آراء الفارابي ، فضلا عما تيسره الخطة الرشيدة التي التزمها المؤلف حين جعل لكل فصل من فصول الدراسة ، فصلا رديفا يرتكز على الاستشهاد بالنصوص الفارابية المقتبسة من مصنفاته ، والمتعلقة بالموضوعات الرئيسية التي تدور عليها دراسات هذا الكتاب ، فان مثل هذه الخطة تحرص من جهة على امانة البحث الفلسفي ، والعلمي اجمالا ، كما تحرص من جهة ثانية ، على ارضاء اذواق المتخصصين في هذا العلم ، وبذلك يكون المؤلف قد ادرك الغايتين معا ، ويسر لكتابه ان يصل الى اوسع قطاع ممكن من قراء العربية .

ولقد احسن المؤلف الدكتور فوزي عطوي صنعا حين اورد التفاصيل الضرورية المتعلقة بالمحاولة التوفيقية التي قدمها لنا الفارابي ، عندما اتجه نحو الجمع بين رأيي الحكيمين افلاطون وارسطو ، اذ توصل المؤلف الى الاستنتاج المنطقي بأن استناد الفارابي الى كتاب « الربوبية » الذي وضعه افلوطين والذي نسب الى ارسطو خطأ ، جعله يصل الى النتيجة غير السليمة لان منطلقه كان منطلقا فاسدا ، هذا فضلا عن تنويه المؤلف ، في غير ما موضع من الكتاب ، بالصعوبات التي اعترضت الفارابي ، وهو يقوم بتلك المحاولة التوفيقية ، كما هو الامر بالنسبة لنظرية المثل « لان فلسفة افلاطون تدور حول هذه النظرية ، بينما فلسفة ارسطو تسخر من النظرية وتسفهها ، ولا سيما في كتاب « ما بعد الطبيعة » على حد تعبير المؤلف .

وكان من حسنات هذا الكتاب ايضا ، ان مؤلفه حاول الاحاطة بمختلف جوانب الفكر الفارابي ، فلسفة ، ومنطقا ، واخلاقا ، وسياسة ، فلم يقصر بحثه حول فكرة واحدة او حول كتاب واحد من كتب ابي نصر ، بل قدم للقارىء صورة تكاد تكون كاملة ، عن اهم الخطوط الرئيسة والاتجاهات الفكرية التي تميز بها « المعلم الثاني » . وفي مقدوري ان اذهب الى ابعد من هذا المدى ، بعد ، فاقرر ان استناد المؤلف في بحثه عن السياسة المدنية ، لدى الفارابي ، الى كتابيه « آراء اهل المدينة الفاضلة » و « رسالة في السياسة » التي اصدرها الاب لويس شيخو عام ١٩٠٨ في مجموعة بعنوان « مقالات فلسفية قديمة » ، وطبعها في المطبعة الكاثوليكية ببيروت يدل على ما يتصف به المؤلف من بعد النظر ، ورجاحة الرأي ، في الربط المحكم ما بين المجتمع والسياسة ، لا سيما وهو القائل في مقدمة الفصل الذي يحمل عنوان « المدينة الفاضلة ومضاداتها » ان « السياسة ، في الاصل ، هي فن ادارة المجتمع ، وفق اصول وشرائط تنتهي به الى حياة فضلى » . فضلا عن بلوغ المؤلف محجة

الصواب في البحث ، حين ابرز النواتيء والتناقضات ، في مواقف الفارابي من خلال المصنفين الشهيرين .

واذا كان ما ذكرته ، الى الآن ، هو بعض حق المؤلف علي وعلى القارىء ، في آن معا ، فان بعض حقي ، وبعض حق القارىء معي ، على المؤلف المستمسك بعرى الدقة ، والعمق ، والاتقان ، في البحث المنهجي ، ابداء اعتراض ارجو الا يساء فهمه من جانب من ينبغي ان يفهموا الاعتراض حق فهمه ، وان كنت على ثقة مطلقة بأن المؤلف كان في غنى عن مثل هذا الاعتراض ، وهو الحريص منذ فاتحة الكتاب حتى نهايته على استكمال مسيرة التصدي لمؤامرة اسقاط الانسان ، خلال هذا الزمان ، كما نوهت في اوائل سطور هذه الكلمة .

كنت اتمنى على المؤلف لو انه اسقط من كتابه النص الفارابي المتعلق بعلاقة المرء بالرؤساء (البند الثالث من فصل « السياسة والاجتماع ») . وما أحسبني في حاجة الى التبسط في هذه النقطة اكثر مما فعل الفارابي نفسه ، او اكثر مما فعله المؤلف حين اثبت النص المعترض عليه ، في كتابه وعلق عليه مفندا ، وحسب القارىء الذي يطالع ذلك النص ان يدرك ما فيه من دعوة فارابية الى التزلف ، والمصانعة ، والرياء والتذلل المريض ، وهي دعوة لا تأتلف مع مجمل فلسفة الفارابي ومنحاه الاخلاقي ، في حال من الاحوال .

واني منذ هذه اللحظة ، اكاد اسمع ردا مقبولا من المؤلف الصديق ، بأن امانة البحث العلمي ، تقتضي ابداء ما للشخصية الفلسفية وما عليها ، لكن المهمة الصعبة التي اصطفاها لنفسه ، وهو يضع هذا الكتاب القيم في ظروف زمانية ومكانية شديدة الصعوبة والتعقيد ، تجعل رده المقبول موضعا للنقاش والجدال .

[illegible] ان تقريظ الكتاب او انتقاده ، لا يبدلان شيئا فيما يستحقه الكاتب من التقدير ، لقاء الجهد الملحوظ الذي بذله في الدراسة ، والتحليل والمقارنة ، والنقد ، والاستنتاج المتئد المتزن . وللمؤلف الصديق امتنان المكتبة العربية اذ يستمر في اتحافها بالجيد الجديد من انتاجه الفكري .

صبحي ال[illegible]
مدير كلية الآداب والعلوم [illegible] الجامعة اللبنانية

* * *

رسيس الحب

شعر فطينة النائب — وزارة الثقافة والفنون — ١٠٢ صفحة
دار الحرية للطباعة — بغداد

الرومانسية عمل محبب في شعر المرأة لانها تحس بالحياة [illegible] روحها بالحب والجمال والفرحة فهي تعشق الزهرة الندية في البراعم والموجة المترقرقة في النهر والضحكة المعبرة على شفاه الاطفال .

وفطينة النائب شاعرة رومانسية كانت تنشر قصائدها في الخمسينات ثم اختفت الى ان ظهر صوتها في ديوانها الذي اصدرته وزارة الثقافة والفنون « رسيس الحب » .

يضم الديوان اثنتين واربعين قصيدة موزعة على مائة وصفحتين تقول من قصيدة لها بعنوان « الموعد » :

أسكب الحب شرابا عطرا ... واسقني منه كؤوسا مترعات
خمرة تنسي فؤادي الحذرا ... وبها نرتاد أعماق الحياة
نشوة تنسيك ما قبل جرى ... وبها نغرق ما بالامس فات
فاذا ما كنت تخشى الخطرا ... فارتشفها ثم دع لي قطرات

تصميم الغلاف نضال الآغا ... التصميم الداخلي محمد هاشم .

كاظم محمد حسين
الكوت — العراق

الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ٢٥ ليرة لبنانية

●

المؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

●

في الخارج العربي : ١٠٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

سائر الاقطار :
٥٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية : ١٠٠ ل.ل. كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء انشرت أم لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

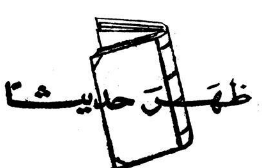
☎ الادارة : ٢٢٣٨١٩
المنزل : ٢٢٥١٣٩

Dir. 223819
☎ Dle. 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨—١١
بيروت — لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب



● دنيا الحكايات ــ تاليف انجل كارايتنف ــ ترجمة عيسى فتوح ــ الغلاف للفنانة بتول ملاطيه لي ــ ١٢٨ صفحة ــ منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ــ مطبعة دار الثقافة بدمشق .

● صفحات من لبنان ــ تاليف جوزيف نعمة ــ الجزء الاول ــ ٢٣٢ صفحة ــ حجم كبير ــ (صدر في بيروت) ــ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ازهار برية ــ تاليف عبدالله كنون ــ ٢٠٠ صفحة ــ حجم كبير ــ مطبعة ديسبريس في تطوان بالمغرب .

● الوان والحان ــ مجموعة شعرية ــ زكي قنصل ــ ٢٥٦ صفحة دار ميسلون للطباعة والنشر في بوانس ايرس بالارجنتين .

● في قلب المأساة ــ تاليف فاضل سعيد عقل ــ ١٦٨ صفحة ــ مطابع العقل في بيروت .

● سقوط الامبراطورية اللبنانية ــ تاليف فؤاد مطر ــ الجزء الاول : الشرارة ــ الطبعة الثانية ــ ٢٣٨ صفحة ــ مع عدة صور ــ دار القضايا للنشر (بيروت) ــ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● سقوط الامبراطورية اللبنانية ــ تاليف فؤاد مطر ــ الجزء الثاني : المخاض ــ ١٧٢ صفحة ــ مع عدة صور ــ دار القضايا للنشر (بيروت) ــ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● سقوط الامبراطورية اللبنانية ــ تأليف فؤاد مطر ــ الجزء [illegible] الانقسام ــ ٣٠٤ صفحات ــ مع عدة صور ــ دار القضايا للنشر (بيروت) ــ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● تاريخ لبنان الحديث ــ تاليف الدكتور كمال الصليبي ــ الطبعة الرابعة ــ ٢٧٢ صفحة ــ دار النهار للنشر ببيروت ــ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الآسيوي القديم ــ تاليف الدكتور يوسف الحوراني ــ ٤٣٠ صفحة ــ دار النهار للنشر في بيروت ــ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● قصص من بلدي ــ تاليف مقبولة الشلق ــ المقدمة بقلم سعد صائب ــ صممت الغلاف السيدة اسماء الفيومي ــ ١٢٠ صفحة ــ المطبعة العمومية بدمشق .

● عظماء بلادي : محمد علي الحامي ــ تاليف رشيد الذوادي ــ ٤٨ صفحة ــ دار النجاح للطباعة والنشر في تونس .

● يوميات اندلسية ــ تاليف ماجد ذيب غنمـا ــ ١١٢ صفحة ــ الطابعون جمعية عمال المطابع التعاونية في عمان الاردن .

● مع الشعراء : دراسات وخواطر ادبية ــ تاليف محمد بن علي السنوسي ــ ١٥٤ صفحة ــ حجم كبير ــ مطبوعات نادي جازان الادبي بالسعودية ــ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة .

● الحان الغروب ــ شعر ــ الياس قنصل ــ صمم الغلاف نعيم اسماعيل ــ ١١٦ صفحة ــ حجم كبير ــ منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق ــ دار الانوار للطباعة في دمشق .

● سيمفونية البكاء والفناء ــ شعر ــ صلاح والي ــ ٦٤ صفحة ــ مطبعة الفجالة الجديدة (القاهرة) .

● غزة هانوي تشرين ــ شعر ــ سعيد ابو الحسن ــ صمم الغلاف المهندس راتب الاسود ــ ٨٨ صفحة ــ منشورات دار مجلة الثقافة في دمشق ــ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● فيليب لطفالله شاعرا وانسانا ــ تاليف وحيد الدين بهاء الدين ــ ٨٠ صفحة ــ مؤسسة بلادي للطباعة والنشر في سان باولو بالبرازيل .

● اللهب الاحمر ــ شعر ــ عدنان قيطاز ــ صمم الغلاف نزار قطرميز ولوحتان لغسان صباغ ومحمود حماد ، الخطوط لعبد الرحمن فاخوري ــ ١٦٨ صفحة ــ المطبعة الحديثة في حماة سورية .

● القائد الصغير ، قصص للاطفال ــ تاليف عبد الهادي طبل ــ الغلاف والرسوم الداخلية لعادل جلعوط ــ تقديم محمد منذر لطفي ــ المطبعة الحديثة في حماة سورية

● نفحات شامية ــ ديوان شعر ــ عدنان مردم بك ــ ٢٠٠ صفحة ــ حجم كبير ــ منشورات مؤسسة الرسالة في بيروت ــ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الطفل والمغامرة ــ قصص ــ تاليف محمد نديم ــ ٨٠ صفحة ــ منشورات مكتبة دار اللواء السايب في القامشلي سورية ــ نشر بالتعاون مع اتحاد الكتاب العرب ــ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● رجل من لبنان ــ تاليف حنا دعبول ــ موسوعة من القصص النادرة المثيرة التي لم يقصها انسان حتى الآن ــ طبع باللغة الانكليزية في الولايات المتحدة الامريكية نقله الى العربية فيليب لويس داغر ــ تقديم الدكتور توماس بلوسم ــ ٣٢٠ صفحة ــ حجم كبير ــ مطبعة مجلة المراحل في سان باولو البرازيل .

● الخولة بنت الازور ــ تاليف عبد العزيز الرفاعي ــ الغلاف لبيار صادق ــ ٥٦ صفحة ــ الكتاب ٢٤ في سلسلة المكتبة الصغيرة ــ مطابع الزايدي بالمملكة العربية السعودية .

● رحلة في كتاب من التراث ــ تاليف عبد القدوس الانصاري ــ الغلاف لعلي الخرجي ــ ١٧٦ صفحة ــ الكتاب ٢٥ في سلسلة المكتبة الصغيرة ــ مطابع الروضة في جدة بالسعودية .

● الحسن بن اسد الفارقي : حياته والصبابة من شعره ــ جمع وتحقيق هلال ناجي ــ الغلاف لممدوح أنور ــ ١٣٢ صفحة ــ الكتاب ٢٦ في سلسلة المكتبة الصغيرة ــ مطابع اليمامة في الرياض .

● الامام الشافعي ، الفقيه الاديب ــ تاليف احمد العربي ــ ٩٢ صفحة ــ الكتاب ٢٧ في سلسلة المكتبة الصغيرة ــ مطابع الروضة في جدة بالسعودية .

● معركة الوادي ــ تاليف عبد المجيد بنجلون ــ الغلاف لنور الدين بناني ــ ١١٠ صفحات ــ شركة الطبع والنشر (؟) ــ (الكتاب صدر عن الرباط بالمغرب) .